جامعة الأزهر
كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
كلية معتمدة من الهيئة القومية لضمان جودة التعليم والاعتماد

قضايا الأخلاق من خلال شروح المختصر لعضد الدين الإيجي

"دراسة تحليلية"

إعداد

د. محمد سالم الشحات متولي

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة
بالزقازيق

مجلة كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية
العدد الرابع والأربعون لعام
لعام 1447هـ - ديسمبر 2025م

المودعة بدار الكتب تحت رقم ٢٠٢٥/٦١٥٧ والترقيم الدولي الطباعي
I.S.S.N 2974-4660 و The Online ISSN 2974-4679

قضايا الأخلاق من خلال شروح المختصر لعضد الدين الإيجي

"دراسة تحليلية"

محمد سالم الشحات متولي
قسم: العقيدة والفلسفة، كلية: أصول الدين والدعوة، بالزقازيق، جامعة الأزهر الشريف، مصر.
البريد الإلكتروني: mohammed metwalY.٢٨@azhar.edu. Eg

ملخص البحث:

تتناول هذه الدراسة قضايا الأخلاق كما عرضها عضد الدين الإيجي في مختصر الأخلاق العضدية وشروحها، من خلال دراسة تحليلية تكشف تداخل الفكر الكلامي بالفلسفة الإسلامية في بناء الرؤية الأخلاقية، ويُركّز البحث على الأسس النظرية والعملية للأخلاق عند الإيجي، من خلال تحليل مفهوم الخُلُق، وعلاقته بقوى النفس، وطرق تهذيبها بمنهجٍ يجمع بين الموعظة والرياضة والمجاهدة، في تشبيهٍ دقيق لعلاج النفس بعلاج البدن.

كما يبيّن تأثر الإيجي وشراحه بمن سبقهم من أعلام الفلسفة والتصوف في جعل الاعتدال مبدأً للفضيلة، مع إعادة توجيه هذا المفهوم ضمن إطارٍ كلامي يجعل الكمال الإنساني غايته العليا.

ويخلُص البحث إلى أنّ الإيجي وشراحه قد أسسوا نموذجًا أخلاقيًا إسلاميًا متكاملًا يجمع بين العقل والوحي، ويجعل من تهذيب النفس سبيلًا إلى السعادة والكمال الروحي، ويكشف عن عمق الترابط بين الفلسفة الإسلامية، وعلم الأخلاق في بناء الإنسان الكامل.

الكلمات المفتاحية: عضد الدين الإيجي – الأخلاق – الشراح – المختصر – الفضائل والرذائل – تهذيب النفس.

Ethical Issues through the Commentaries on Al-Mukhtasar by Izz al-Din al-Iji "An Analytical Study"

Muhammad Salem al-Shahat Metwally
Department: Doctrine and Philosophy, Faculty: Fundamentals of Religion and Advocacy, Zagazig, Al-Azhar University, Egypt
Email: mohammed metwalY.28@azhar.edu. Eg

Abstract:

This study addresses ethical issues as presented by Izz al-Din al-Iji in his Mukhtasar al-Idhdiyya Ethics and its Commentaries, through an analytical study that reveals the interplay of theological thought and Islamic philosophy in constructing the ethical vision. The research focuses on the theoretical and practical foundations of ethics according to al-Iji, through an analysis of the concept of morality, its relationship to the powers of the soul, and methods of refining it using an approach that combines preaching, exercise, and struggle, in an accurate analogy between treating the soul and treating the body.

It also demonstrates the influence of al-Iji and his commentators on the philosophers and Sufis who preceded them in making moderation a principle of virtue, while reorienting this concept within a theological framework that makes human perfection its highest goal.

The study concludes that Al-Iji and his commentators established a comprehensive Islamic ethical model that combines reason and revelation, makes self-discipline a path to happiness and spiritual perfection, and reveals the profound connection between Islamic philosophy and ethics in building the complete human being.

Keywords: Izz al-Din al-Iji – Ethics – Commentators – Summary – Virtues and Vices – Self-Discipline

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين، سيدنا محمد النبي العربي الأمين، وعلى آله وأصحابه أجمعين إلى يوم الدين.

وبعد...

يُعَدّ علم الأخلاق من أرفع العلوم شأنًا، وأجلِّها مقصدًا؛ إذ عليه مدار سعادة الإنسان في الدارين، وتقوم به عمارة الدنيا وصلاح الآخرة، فهو ميزان الاستقامة في الفكر والعمل، ومناط التمييز بين الفضيلة والرذيلة.

وقد اهتم السادة علماء الأخلاق بهذا العلم عنايةً كبيرة، فأسسوا له القواعد، وضبطوا له المقاصد، وربطوه بالوحي والعقل معًا، فكان نتاجهم مزيجًا من الحكمة الفلسفية، والهداية الشرعية، من أجل تهذيب النفس، وتكميل الإنسان.

ومن بين هؤلاء العلماء يَبرُز القاضي عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ)، أحد أعلام القرن الثامن الهجري، والذي تميّز بجمعه بين النزعة الكلامية الأشعرية، والخبرة الفقهية، والاطلاع الفلسفي، مع العناية بالفكر الأخلاقي؛ حيث ألف كتاب «**المختصر**» الذي يُعَدّ من المصنفات الفريدة التي جمعت بين العمق الفلسفي والدقة المنهجية، وبين الأصالة الإسلامية والتأثر بالحكمة المشائية، فلقد تناول الإيجي قضايا الأخلاق تناولًا شاملًا، قائمًا على تحليل قوى النفس وبيان أمراضها وعلاجها، ثم ربط ذلك بمفهوم التمدن والسياسة، ليجعل من الأخلاق أساسًا لنظام الإنسان والأسرة والمجتمع والدولة.

ولم يقف أثر الإيجي عند مصنفه وحده، بل امتد من خلال شراحه الذين

أوْلَوْ هذا الكتاب عنايةً فائقة، فقد أضحى من المراجع الأساسية في الدراسات الأخلاقية لدى المتأخرين، وتعرض للشرح والتعليق في عصور لاحقة على يد أكابر العلماء أمثال: شمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ)، وعلاء الدين الكازروني، وطاش كُبرى زاده (ت٩٦٨هـ)، ومنجم باشا (ت١١١٣هـ)، وقوام الدين القزويني (ت١١٤٠هـ)، وإسماعيل مفيد (ت١٢١٧هـ): فقاموا بتفسير عباراته، وشرح رموزه، وتوضيح معانيه، وربطوا بين النظريات الأخلاقية ومجالاتها التطبيقية في النفس، والمنزل، والسياسة. وهؤلاء الشراح شكّلوا مع الإيجي مدرسةً فكريةً متكاملة في فلسفة الأخلاق الإسلامية.

ولمَّا كان علم الأخلاق من أشرف العلوم وأعظمها أثرًا في تهذيب النفس وبناء الإنسان، وجدتُ في دراسة هذا العلم ميلًا نفسيًا وقبولًا علميًا، خاصةً في جانب ما كتبه عضد الدين الإيجي وشُرّاحه في مختصر الأخلاق العضدية. فقد رأيت فيه مادة ثرية تكشف عن عمق التفكير الأخلاقي في الحضارة الإسلامية؛ ولذا جاء البحث بعنوان: «**قضايا الأخلاق من خلال شروح المختصر لعضد الدين الإيجي دراسة تحليلية**».

أهمية الموضوع:

تتجلى أهمية هذا الموضوع في أنه يتناول جانبًا دقيقًا من التراث الأخلاقي الإسلامي، يتمثل في معالجة القضايا الأخلاقية كما عرضها عضد الدين الإيجي في المختصر، وكما فسرها وعمقها الشراح من بعده، كما أنه يكشف عن الأسس الفكرية والمنهجية التي قام عليها البناء الأخلاقي في الفكر الإسلامي، ويكشف عن تطور الرؤية الأخلاقية في إطار المذهب الأشعري والماتريدي على السواء، ويُسهم في معالجة بعض المشكلات المعاصرة الناتجة عن ضعف الوازع الأخلاقي.

أسباب اختيار الموضوع:

١- المكانة العلمية الرفيعة لعضد الدين الإيجي؛ إذ يُعَد من العلماء الذين جمعوا بين عمق الفهم وسَعة الاطلاع في مختلف العلوم، لا سيما في علمي الكلام والأخلاق؛ مما يجعل دراسة آرائه الأخلاقية من خلال شروح المختصر مجالًا خصبًا لإبراز فكره الأخلاقي.

٢- الرغبة في تتبع المنهج التحليلي للإيجي وشراحه في معالجة قضايا الفضائل والرذائل.

٣- الحاجة إلى إحياء التراث الأخلاقي الإسلامي في ظل التحديات السلوكية المعاصرة.

٤- بيان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الإيجي والشراح في دراسة قضايا الأخلاق.

٥- ثراء شروح المختصر بما تحويه من مناقشات دقيقة وتحليلات عميقة لمباحث الأخلاق، مما يجعلها مصدراً مهمًّا لدراسة تطوّر الفكر الأخلاقي.

إشكالية البحث.

تتمثل إشكالية البحث في محاولة الكشف عن التصور الأخلاقي عند عضد الدين الإيجي كما عرضه في المختصر، وتحليل كيفية تناول الشراح لهذه القضايا بالشرح والتفسير، وذلك من خلال تتبّع منهجهم في عرض مباحث الفضائل والرذائل، وأسسها النظرية والعملية، وينطلق البحث من التساؤل الرئيس الآتي:

كيف تناول الإيجي وشراح المختصر قضايا الأخلاق، وما المنهج التحليلي الذي اعتمدوه في بناء رؤيتهم الأخلاقية؟

ويتفرع عن هذا التساؤل الرئيس الأسئلة التالية:

١. من هو الإيجي، ومن هم الشراح الذين اهتموا بكتابه المختصر؟
٢. وما هي مكانة الإيجي وكتابه المختصر عند علماء الأخلاق؟
٣. ما المفهوم الذي تبنّاه الإيجي للأخلاق؟
٤. ما هي أبرز القضايا الأخلاقية التي تناولها في المختصر؟
٥. ما المنهج الذي اتبعه الإيجي وشراحه في تناول مسائل الفضائل والرذائل؟
٦. كيف أسهمت شروح المختصر في توضيح أو تطوير التصور الأخلاقي للإيجي؟
٧. ما مدى انسجام الرؤية الأخلاقية عند الإيجي مع الإطار الكلامي والفلسفي العام في الفكر الإسلامي؟
٨. وهل تأثر الإيجي بالفلسفة اليونانية في صياغة المختصر؟
٩. وهل توجد خطة علاجية للرزائل عند الإيجي والشراح؟
١٠. وما هي الرؤية الأخلاقية للإيجي والشراح لتدبير المنزل وسياسة المدن؟
١١. وما هي أهم النتائج التي يمكن أن نتوصل إليها في هذا البحث؟

منهج البحث:

إن دراسة هذا الموضوع تحتاج إلى المناهج التالية:

المنهج التحليلي: وذلك لتحليل النصوص الواردة عند عضد الدين الإيجي في المختصر، وكذا الشراح، وتفكيك المفاهيم التي وردت عنهم؛ لبيان معانيها ومصادرها التي نبعت منها.

المنهج المقارن: وذلك لمقارنة فكر الإيجي والشراح بغيرهم من علماء الأخلاق؛ بهدف إبراز تميز طرحهم أو اقترابهم من غيرهم.

المنهج النقدي: وذلك لتقييم آراء عضد الدين الإيجي والشراح، ومدى تماسكها من الناحية الأخلاقية، وإبراز ما لها وما عليها.

□

تقسيمات البحث:

البحث محاولة للوقوف على قضايا الأخلاق عند الإيجي ومن معه من الشراح، وذلك يقتضي أن يُقَسّم \إلى: مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث رئيسة، وخاتمة، ثم فهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

في المقدمة أتحدث عن: أهمية الموضوع، وأساب اختياره، وإشكالية البحث، ومنهجه، وتقسيماته.

والتمهيد يشتمل على: التعريف بالإيجي والشراح، وبيان منهجهم في دراسة الأخلاق.

والمبحث الأول: الجانب النظري للأخلاق عند الإيجي والشراح: ويتناول الجانب النظري للأخلاق عند عضد الدين الإيجي والشراح، من خلال بيان مفهوم الخُلُق، وإمكان تغيّره بالرياضات والتربية، وارتباطه بالمزاج والطبع، كما يوضح تقسيم الإيجي لقوى النفس إلى الناطقة، والغضبية، والشهوانية، وأن الفضيلة هي اعتدال هذه القوى؛ فتنتُج عنها الحكمة، والشجاعة، والعفة، وتتحقق العدالة باعتدالها جميعًا، ويمثل هذا المبحث الأساس الفلسفي والنفسي الذي تُبنى عليه بقية مباحث الأخلاق في فكر الإيجي وشُرّاحه.

المبحث الثاني: الجانب العملي للأخلاق عند الإيجي: وهو الميدان العملي الذي يَظهر فيه البعد التربوي والعلاجي في الفكر الأخلاقي عند الإيجي والشراح، حيث شَبَّهوا النفس بالبدن، والفضائل بالصحة، والرذائل بالمرض، ووضعوا لذلك خطة علاجية دقيقة.

المبحث الثالث: الرؤية الأخلاقية للإيجي والشراح لتدبير المنزل وسياسة المدن: وهو امتداد طبيعي للمبحثين السابقين؛ إذ تتجلى فيه الغاية العملية للأخلاق عند الإيجي في تنظيم الحياة الخاصة عبر ضبط العلاقات بين الأفراد داخل الأسرة، ثم بين الجماعات داخل المدينة.

والخاتمة: تتضمن أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتوصيات.

وأما الفهارس: ففهرس للمصادر والمراجع، وآخر للموضوعات.

التمهيد: التعريف بالإيجي والشراح وبيان منهجهم في دراسة الأخلاق.

الحديث عن الفكر الأخلاقي في التراث الإسلامي يقتضي وقفة متأنية عند أعلامه الكبار الذين أسهموا في صياغة أفكاره، ومن أبرزهم القاضي عضد الدين الإيجي (ت ٧٥٦هـ)، فقد ألّف كتاب «**المختصر في الأخلاق**» بجانب مصنفاته الكلامية والأصولية، فكان هذا الكتاب على صغر حجمه من أهم المؤلفات التي عنيت بموضوع الأخلاق، مما جعله محلَّ شرح وتفسير من عدد من العلماء الذين سعوا إلى بيان مقاصده، وتوضيح معانيه، وتوسيع آفاقه.

ويمكننا أن نقف على الملامح التعريفية للإيجي ومن معه من الشراح – الذين يمثلون محور البحث – من خلال الجوانب التالية:

١- **التعريف بالإيجي والشراح:** حيث أُعَرِّف – باختصار – بعضد الدين الإيجي ومكانته العلمية، مع إلقاء الضوء على أهم الشُرَّاح الذين تناولوا مختصره في الأخلاق.

٢- **المنهج الذي سلكه الإيجي والشراح في معالجة الأخلاق:** وذلك بالكشف عن كيفية بنائهم للنظرية الأخلاقية، واعتمادهم على الأصول الكلامية والفلسفية والشرعية، ومدى قدرتهم على المزج بين التحليل العقلي، والتأصيل الديني.

٣- **مكانة الأخلاق والقيمة العلمية لمختصر الإيجي:** وذلك للوقوف على مكانة علم الأخلاق في فكر الإيجي وشُراحه؛ فدراسة مكانة هذا العلم عند الإيجي والشراح تُظهِر الأسس التي بنوا عليها رؤيتهم الأخلاقية، وبيان القيمة العلمية لكتابه: «**المختصر في الأخلاق**» ضمن سلسلة المصنفات التي أسهمت في بلورة الفكر الأخلاقي.

أولا: التعريف بالإيجي والشراح:

أ- **التعريف بالإيجي:** هو عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي، المُطرزي، قاضي القضاة عضد الدين الشيرازي، وقيل: إنه من نسل سيدنا أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –، كان إماماً في المعقولات، عارفًا بالأصلين، والمعاني، والبيان، والنحو، مشاركًا في الفقه، وكان دائم الإحسان إلى طلاب العلم، ذا مكانة بين أهل زمانه.

ولد بإيج من نواحي شيراز سنة (٧٠٠هـ)، وتوفي سنة (٧٥٦هـ)، وله مؤلفات عديدة في جوانب مختلفة من العلوم: في علم الكلام: «كتاب المواقف» وغيرها، وفي أصول الفقه «شرح مختصر ابن الحاجب»، وفي المعاني والبيان «الفوائد الغياثية»، وفي الوضع «الرسالة العضدية»، وفي التفسير «تحقيق التفسير في تكثير التنوير»، وفي الأخلاق «المختصر»[1].

وقد أشار أحد شراح «المختصر»، وهو أحمد بن لطف الله منجم باشا الرومي (ت١١١٣هـ) إلى بعض الشُروح التي دارت حول هذا الكتاب، فقال: «شرحه كثير من المحققين؛ مثل السيف الأبهري من تلامذة المصنف، والأخوين

(١) ينظر: طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو: جـ١٠صـ٤٦، ط٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية (١٤١٣هـ)، والفوائد السنية في شرح الألفية، لشمس الدين محمد بن عبد الدائم (ت٨٣١ هـ)، تحقيق: عبد الله رمضان موسى: جـ٥ صـ ٢٢٩٥، ط١، مكتبة دار النصيحة، السعودية (١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م)، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت ١٣٣٩هـ): جـ١ صـ ٥٢٧، وكالة المعارف إسطنبول (١٩٥١).

الشهير، كل منهما بالفاضل الكازرونى، وغيرهم من الفضلاء»[1].

ولقد وقَفتُ بحمد الله تعالى على شروح المختصر التي ذكرها أصحاب التراجم، وسأعتمد عليها في البحث، عدا شرح الأبهري [2] فلم أقف عليه.

التعريف بشراح المختصر:

١- **شمس الدين الكرماني:** «محمد بن يوسف بن علي بن سعيد الكرماني، ثم البغدادي شمس الدين: فقيه، اصولي، محدث، مفسر، متكلم، نحوي، بياني. **ولد** في السادس عشر من شهر جُمادى الآخرة سنة (٧١٧هـ)، وكان تام الخُلق، فيه بشاشة، وتواضع للفقراء، وأهل العلم، غير مكترث بأهل الدنيا، ولا يلتفت إليهم. **من تصانيفه: شرح البخاري**؛ حيث شرحه شرحاً جيداً في أربعة مجلدات، **وشرح المواقف، وشرح مختصر ابن الحاجب، وشرح الفوائد الغيائية** في المعاني والبيان، **وشرح الجواهر، وأنموذج الكشاف، وحاشية على تفسير البيضاوي** وصل فيها إلى سورة يوسف، وغير ذلك ...، توفي يوم الخميس سادس عشر المحرم سنة ست وثمانين وسبعمائة بطريق الحج،

(١) شرح الأخلاق العضدية، لأحمد بن لطف الله السلانيكي، الرومي، المولوي، الصديقي، الشهير بمنجم باشا (ت١١١٣هـ)، تحقيق: عصماء آيهان: صـ٢٣٠، رسالة دكتوراه بجامعة مرمرة، معهد العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، إسطنبول (٢٠١٣م).

(٢) **الأبهري** هو سيف الدين الأبهري تلميذ عضد الدين الإيجي. ينظر: سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط: جـ٢صـ٢٤٩، مكتبة إرسيكا، إسطنبول (٢٠١٠ م).

فنُقِل إلى بغداد، ودفن بقبرٍ أعدّه لنفسه»[1].

وأما عن مختصر الإيجي، فيحدثنا حاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ) عن تناول الكرماني له بالشرح والبيان فيقول: «هو مختصر في جزء، لَخص فيه – الإيجي – زبدة ما في المطولات، ورُتِّب على أربعة مقالات: الأولى في إجمال النظري منها، والبواقي فيما ذكر آنفًا، وفيه كفاية لمن أراد أن يذَّكر، ثم شرحه تلميذه شمس الدين محمد بن يوسف الكرماني المتوفى سنة ست وثمانين وسبعمائة بقال: أقول أوله: الحمد لله الذي خلق الإنسان، وزينه بالفضائل الخ»[2].

والكرماني يمتاز بالتعظيم والإجلال لشيخه الإيجي من خلال شرحه الذي يتسم بسهولة العبارة، وإيجاز اللفظ، وأحيانا يترك بعض العبارات الواضحة التي لا تحتاج إلى بيان.

٢- **طاش كبرى زاده:** «احمد بن مصطفى بن خليل الرومي، الحنفي، المعروف بطاش كبرى زاده، عصام الدين، ابو الخير، ولد سنة (٩٠١هـ) وتوفي سنة (٩٦٨هـ) من تصانيفه: **مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، والشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، وشرح العوامل المائة للجرجاني** في النحو، **والمعالم**

---

(١) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: جـ١صـ٢٧٩ بتصرف، المكتبة العصرية – لبنان (بدون تاريخ)، وطبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ): جـ٢صـ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧ باختصار دار الكتب العلمية – بيروت (بدون تاريخ)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: جـ٢صـ١٢٩، الناشر: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا: جـ١صـ٣٧، ط١، وكالة المعارف، إسطنبول (١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣م).

في علم الكلام، **وأجل المواهب في معرفة وجود الواجب، وشرح الفوائد الغياثية** في المعاني والبيان، وغير ذلك»[١].

وقد ذكر طاش كبرى زاده أن كتاب «**المختصر في الأخلاق**» من الكتب الجامعة لأصول الفنون الثلاثة، وهي «علم الأخلاق، وتدبير المنزل، وتدبير السياسة»، وأنه قد شرحه في المراحل الأولى من حياته، حيث قال: «ومن الكتب المختصرة الجامعة لأصول هذه الفنون الثلاثة، رسالة مولانا عضد الدين الإيجي، وعليها شرح تلميذه شمس الدين الكرماني، وشرحتُها شرحاً جامعاً نافعاً في أيام الشباب»[٢].

ويعد شرح طاش كبرى زاده من الشروح الدقيقة على المختصر، وهو فيه أكثر توسعاً من الكرماني؛ حيث حاول حل مستغلقاته، وتقييد إطلاقاته، وقد أفصح بنفسه عن ذلك المقصود فقال: «لما تبينتُ فيه نوعاً من الإيجاز، ونبذاً من الإغلاق، أردت تفريع ما فيها من الأصول، وتقييد ما فيها من الإطلاق، فشرحتُها شرحاً مؤيداً بالنصوص والنقول، وما ورد في السنة المستفيضة، والأثر المقبول»[٣].

٣- **منجم باشا:** «احمد بن لطف الله السلانيكي، الرومي، المولوي،

---

(١) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ): جـ١ صـ ١٤٤ باختصار، ويراجع: الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ): جـ١صـ ٢٥٧، ط١٥، دار العلم للملايين، بيروت (٢٠٠٢م)، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: جـ٢صـ١٦٨.

(٢) مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ): جـ١صـ ٣٨٧، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م)

(٣) شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٢٧، ط١، شركة كاريست لحلول الطباعة المحدودة، تركيا (٢٠١٤م).

الصديقي، الشهير بمنجم باشا، كان رئيس المنجمين، ومصاحباً للسلطان محمد الرابع العثماني، وكان مؤرخاً مشاركاً في بعض العلوم، تولى مشيخة زاوية المولوية بمكة، وتوفي بها في ٢٩ رمضان (١١١٣هـ)، وقد جاوز السبعين، و**من أهم مؤلفاته: وسيلة الوصول الى معرفة الحمل والمحمول، وجامع الدول، وصحائف الأخبار** في التاريخ، **وفيض الحرم** في آداب المطالعة **وديوان شعر** تركي، **وشرح كتاب الاخلاق للقاضي عضد الدين**»[١].

ولقد ذكر **منجم باشا** في مقدمة شرحه هذا أنه استفاد من الشروح السابقة عليه فقال: «فأردت مع قلة البضاعة، وعدم الاستطاعة أن أجمع فوائد من تلك الشروح، ومن غيرها من كتب الفن، وأضم اليها زوائد مما سنح لي، وفاض على ذهني من منن ذي المِنَن؛ ليصير ذلك المجموع بمنزلة شرح جامع لذلك المختصر»[٢].

والحق أن هذا الشرح من أدق وأعمق الشروح؛ حيث اشتمل على تفاصيل وتفاريع لم تذكر عند غيره من الشُرَّاح، وقد اعتمد على مصادر فلسفية وأخلاقية كثيرة لعمالقة الفلسفة والأخلاق، وهو أكثر الشروح توسعاً وشمولًا، فلم يترك كلمة إلا وأجاد في شرحها.

---

(١) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله، الشهير بـــحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـــ): جـــ١صـــ ٣٧ باختصار، ويراجع: هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـــ): جـــ١ صـــ ١٦٧، والأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـــ): جـــ١ص ١٩١، ومعجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: جـــ٢صـــ ٥٥.

(٢) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـــ): صـــ٢٣٠.

٤- **قوام الدين القزويني:** «محمد بن محمد مهدي الحسيني، القزويني، السيفي، قوام الدين، عالم، اديب، شاعر. **من مؤلفاته: أرجوزة** في التجويد، **ومنظومة التحفة القوامية** في فقه الامامية، **والمقطعات والقصائد المشهورات في الصلاة على النبي وآله السادات**، ونظم الزبدة لبهاء العاملي، ونظم الشافية، وقد توفي راجعاً من مكة ببغداد قيل سنة (١١١٥هـ)، وقيل (١١٤٠هـ)» [١].

وقد قام هذا الشارح بعمل نظم على «**مختصر الأخلاق لعضد الدين الإيجي**»، وسماه: «تهذيب الأخلاق»[٢] تتبع فيه عبارة الإيجي بأسلوب مختصر وبليغ، وأياً ما كان الأمر فيعد هذا النظم إضافة علمية، وثروة فكرية، وطريقة مختلفة في دراسة المجال الأخلاقي عند الإيجي.

٥- **إسماعيل مفيد:** هو: «إسماعيل مفيد بن علي العطار، الرومي، المدرس، النقشبندي، الحنفي، من موالي الحرمين، كان فاضلاً، أديباً، خطاطاً، ولد سنة (١١٣٢هـ)، وتوفي بشوال سنة سبع عشرة ومائتين وألف. **من تصانيفه: حاشية على تفسير جزء النبأ للبيضاوي، وحاشية على شرح الآداب لطاشكبري زاده، وشرح أخلاق عضد الدين، وشرح الأربعين النووية، وشرح دلائل الخيرات، وشرح الشمائل النبوية، وشرح**

---

(١) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ): جـ٢ صـ ٣٠٩ بتصرف، وينظر: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: جـ١١صـ ٣٠٤.

(٢) ينظر: نظم تهذيب الأخلاق، لقوام الدين محمد بن محمد مهدي حسيني سيفي قزويني (ت١١٤٠هـ)، تحقيق: أمير باقر بيرتياك: بحث منشور بمجلة ميراث شهاب، العدد: ٢٧، مؤسسة آية الله العظمى، إيران ٢٠٢٠م).

قصيدة البردة، وغير ذلك من مؤلفات»[١].

ويعد الشرح الذي قَدَّمه الشيخ إسماعيل مفيد على «**مختصر الأخلاق للإيجي**» من الشروح النافعة والمهمة في الأخلاق، وهو يشبه في طريقته منجم باشا من ناحية التأصيل والتفريع والتدقيق، وإن كان أقل في العبارة، إلا أنه يعد من الشروح الشاملة.

٦- **علاء الدين الكازروني:** هو محمد بن محمد بن خضر علاء الدين العمري الشافعي الكازروني، وهذا الاسم هو المذكور في بداية شرح الكازروني لمختصر الأخلاق للإيجي[٢]، ولم أقف عليه هكذا في كتب التراجم، وقد ذكر منجم باشا أن الكازروني من بين شراح المختصر[٣].

ويبدو الكازروني في عبارته أكثر قوة، ومتانة، وأحياناً ما يعقب على المسائل بتفريعات مهمة، ولست أدري ماذا يقصد الكازروني من خلال ما جاء في مقدمة شرحه؛ حين قال: «ولم يكن له شرح يحل معاقده، ويوضح مقاصده، ويبين مفصلاته، ويفصل مجملاته، ويميز غثه عن سمينه، ويُوقِف على ضعيفه ومتينه، سنح لي أن أشرحه شرحاً أسلك فيه تلك المسائل، وأزيد فوائد جليلة

(١) هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل البغدادي (ت ١٣٣٩هـ): جـ١ صـ ٢٢٣ باختصار، ويراجع: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: جـ٢صـ ٢٩٧.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين محمد بن محمد بن خضر العمري الكازروني، ترجمة: محمد دمير: صـ ١٧، ط١، شركة كاريست لحلول الطباعة المحدودة، تركيا (٢٠١٤م).

(٣) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ٢٣٠.

على ذلك، كاشفاً عن النكت والأسرار»[1]. فهل الكازروني يُظهر إعجابه بنفسه، ويتغافل عن الشروح الأخرى وخاصة شرح الكرماني تلميذ الإيجي، أم أنه فعلًا لم يعلم بهذه الشروح؟، ولعل ما يُسهل الجواب ويقطع في هذا الأمر هو معرفة تاريخ وفاته فربما يكون قد مات قبل الكرماني، وقد بحثتُ كثيراً في كتب التراجم فلم أقف عليه.

ثانيا: المنهج الذي سلكه الإيجي والشراح في دراسة الأخلاق.

يمكننا أن نحدد معالم المنهج الأخلاقي عند الإيجي والشراح من خلال ما ورد عنهم في كتاب المختصر وشرحه، ويتجلى ذلك فيما يلي: –

- **استخدام المنهج العقلي الكلامي**؛ حيث استند الإيجي والشراح إلى أصول علم الكلام في بناء نظريتهم الأخلاقية، لا سيما منجم باشا الذي اعتمد في شرحه لكثير من المسائل على الأسس الكلامية[2]، وقد برزت السمة الكلامية الأشعرية في تناول الإيجي لقضايا الأخلاق، فظهر ذلك جلياً عند ربطه الحديث عن شعبة الحياء بالجدل الكلامي حول مسألة الحسن والقبح[3]، وفي تدبير المنزل ارتبطت بعض مسائله بالمذهب

(١) شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين محمد بن محمد بن خضر العمري الكازروني: صـ ١٧، ١٩.

(٢) ينظر: على سبيل المثال: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٣٠، ٣٥٠، – ٣٥٢، ٤٦٩، ٤٨٨.

(٣) ينظر: المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(ت٧٥٦هـ)، تحقيق: نزار حمادي: صـ ١٥ – ١٧، دار الإمام ابن عرفة، تونس (بدون تاريخ).

الكلامي في التكليف والقدرة[١].

- **الاعتماد على الموروث الفلسفي**، وخاصة اليوناني عبر الفارابي[٢]، وابن مسكويه[٣]، والإفادة منهم من غير شطط أو إسراف، وذلك بصورة تحفظ لكل واحد من الإيجي وشراحه تميزه واستقلاله عن غيره، ودون الميل نحو التقليد والترديد في بناء رؤيتهم الأخلاقية، وهذا مما يميز عضد الدين الإيجي؛ حيث استطاع في منهجه أن يكون قادراً على الجمع بين الموروث الفلسفي، والأصول الكلامية، والاعتبارات الشرعية، فقد أفاد من الفلاسفة، اليونان كأفلاطون[٤]، وأرسطو[٥] في بيان قوى النفس، وأقسام الفضائل، ومن فلاسفة الإسلام كالفارابي وابن مسكويه في حاجة

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٣٧، وأيضاً يراجع: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ٥٢، رسالة ماجستير للباحث: دريا توبالجيك، بمعهد العلوم الاجتماعية، جامعة صقاريا، تركيا (٢٠٠٧م)، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٦، ٢٥٧، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): تحقيق: د. أشرف ألطاش صـ٣٩، ط١، شركة كاريست لحلول الطباعة المحدودة، إسطنبول (٢٠١٤م).

(٢) ينظر: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ)، جـ١صـ ٣٨٦، ٣٨٧.

(٣) يعد كتاب تهذيب الاخلاق وتطهير الأعراق من أقدم الكتب وأحكمها في المجال الأخلاقي، وقد اعتمد الشراح عليه كثيراً في شرحهم، وخاصة منجم باشا الذي نقل عنه كثير من النصوص.

(٤) ينظر: الجمهورية، لأفلاطون، ترجمة: حنا خباز: صـ١١٢، ١١٧.

(٥) ينظر: الأخلاق، لأرسطو طاليس، ترجمة: إسحاق بن حنين، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي: صـ٩٦، ط١، وكالة المطبوعات، الكويت (١٩٧٩م).

الإنسان بطبعه إلى الاجتماع والتعاون(١)، وقد تميّز عرضه بمزيج من التحليل العقلي والتأصيل الديني، مما جعله محل عناية الشراح الذين بسطوا القول في قضاياه الأخلاقية بتوسع وعمق.

- **يتسم الفكر الأخلاقي للإيجي والشراح بالسمة الشمولية**؛ بحيث يبدأ من المفهوم، ويتوجه نحو الجانب العملي التطبيقي للأخلاق، كحفظ الفضائل، وإزالة الرذائل، وتدبير المنزل، وسياسة المدن.
- **موقع الإيجي في التراث:** ووجوده في القرن الثامن الهجري مكّنَه من الاطلاع على ثقافة مفكري الأخلاق المسلمين كالفارابي، والغزالي، والطوسي، والإفادة منه، وكذا الشراح الذين وظفوا ذلك في تفسير وتوضيح وتطوير الفكر الأخلاقي للإيجي، وساعدوا في استمرار النقاش حول الدرس الأخلاقي في الفكر الإسلامي.
- انتهج الإيجي والشراح في معالجة قضايا الأخلاق منهجًا علميًا دقيقًا ومنظمًا قائمًا على التحليل التربوي العملي والتقسيم المنهجي، وهذا التقسيم يُظهر الربط الدقيق بين النظرية والتطبيق، واعتبار الأخلاق نظامًا متكاملًا يشمل الفرد والأسرة والمجتمع.

ثالثا: مكانة الأخلاق والقيمة العلمية لمختصر الإيجي

١- مكانة علم الأخلاق عند الإيجي والشراح:

مهَّد **علاء الدين الكازروني** شرحه لمختصر الأخلاق العضدية بالتنبيه على المكانة العُظمى لعلم الأخلاق، وذلك من خلال بيان أن الأخلاق ركن أصيل في نجاح الإنسان في وظيفته الأساسية، وهي خلافة الإنسان في الأرض، فقد استحق

(١) ينظر: آراء أهل المدينة الفاضلة، لأبي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ)، تقديم وتعليق: د. ألبير نصري نادر: صـ١١٧، ط٢، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (٢٠٠٠م)، وتهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ): صـ٣٤، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (بدون تاريخ).

الإنسان الخلافة؛ لأنه جامع بين القوى الجسمانية والنفسية والعقلية، وقادر على الترقي في مراتب الوجود من الجمادية إلى الإنسانية، مع امتلاكه قابلية الجمع بين العالم المادي والروحاني، وهذه المؤهلات تُمكنه من تمثيل الأسماء الإلهية في الوجود، لكن بلوغ الخلافة الحقيقية يتوقف على تحقيق الحكمة النظرية، وهي: إدراك الحقائق والمعارف، والحكمة العملية، وهي ضبط السلوك، وإقامة العدل وفقًا للقيم الأخلاقية، ولا تتحقق الخلافة إلا باجتماع هذين الكمالين مع التوازن بين قوى الإنسان، فيكون واسطة بين العوالم العليا والسفلى، ومصلحاً لنفسه ولمجتمعه.(١)

فهذه الرؤية العميقة تدل على أهمية الأخلاق عند الكازروني؛ إذ هي حجر الأساس في عمارة الإنسان في هذه الأرض، كما أنها تشير إلى مدى الارتباط بين العمارة المادية والخلقية الروحية.

وإذا أمعنا النظر فيما **ذكره منجم باشا** (ت ١١١٣هـ) نجده ينتهي إلى أن علم الأخلاق: «علم شريف محتاج إليه في تكميل النفس باتفاق جميع العقلاء من أصحاب النظر وأرباب الذوق، ولم ينكر أحد منهم فضله ولزومه، فيجب على طالب الكمال تحصيله ومراعاته في جميع أعماله الاختيارية...، والأولى أن يُعرّف بأنه علم يَبحَث فيه عن كيفية تعديل أخلاق النفس، وحصول العدالة لها في جميع حركاتها الاختيارية، وعن كيفية حفظ العدالة الموجودة، وتحصيل المفقودة».(٢)

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ٢٩ – ٣٣.
(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ٢٣٩.

٢- مكانة المختصر بين كتب الأخلاق:

لم يكن كتاب «المختصر في الأخلاق» لعضد الدين الإيجي هو أول مصنَّف في الفكر الأخلاقي، فقد كان يوجد قبله الكثير من المؤلفات التي تنسب لأرباب العلم والإتقان في هذا الميدان، ولكن هذا الكتاب من الكتب المعتمدة والجامعة لأصول الأخلاق، فعلى الرغم أنه من أصغر الكتب حجماً، لكنه من أعظمها قدراً، وأكملها نفعاً، وأجمعها معنى، وأتمها فائدة، وقد شهد بذلك **منجم باشا** أحد العلماء الأفذاذ الشارحين لهذا المختصر؛ حيث قال: «ألّف فيه – علم الأخلاق – الحكماء المتقدمون تأليفات كثيرة ضاعت كلها بحوادث الزمان، وليس فيه شيء يُعتد به الآن سوى ما ألفه بعض المتأخرين بالفارسية مثل: **الأخلاق الناصرية** للمحقق طوسي[١]، **ولوامع الإشراق في مكارم الأخلاق** لمولانا جلال الدين الدواني، **وأخلاق محسني** للكاشفي الشهير بحسين واعظ، وبالعربية مثل: **ميزان العمل** للإمام الغزالي– قدس سره –، ومثل: **كتاب الطهارة** للحكيم أبي على الشهير بمسكويه...، وهو مؤلف جليل، جامع لأصول هذا الفن وفروعه، ومثل: **المختصر** الذى ألفه جمال الدين أقسرايى باسم السلطان بايزيد الأول من العثمانيين، ومثل: هذا المختصر الذى نحن بصدد شرحه، ومن الله التوفيق...، وهذا المختصر وإن كان أصغر الكتب المذكورة حجماً، لكنه أعظمها قدراً،

(١) يقصد كتاب: الأخلاق الناصرية، لنصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، ترجمة وتحقيق: د. محمد صادق فضل الله: ط١، دار الهادي، بيروت (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).

وأكملها نفعاً، وأجمعها معنى، وأتمها فائدة»[1] .

وبعد فهذا مدخل تمهيدي لبحث قضايا الأخلاق عند الإيجي؛ يربط بين التعريف بالإيجي وشُرّاحه، مع بيان منهجهم في دراسة الأخلاق، وإبراز القيمة العلمية للمختصر ومكانته بين مصنفات الفكر الأخلاقي الإسلامي، مما يمهّد السبيل لفهمٍ أعمق للبحث وتحليل قضاياه.

وننتقل للتعرف على المباحث اللاحقة في فكر الإيجي الأخلاقي بدءاً من الجانب النظري، ومروراً بحفظ الفضائل واكتسابها، واجتناب الرذائل وإزالتها، ثم الانتقال إلى تدبير المنزل، وأخيراً إلى سياسة المدن، في مسار متدرج يبيّن كيف ينطلق الإيجي والشراح من الفرد ليصل إلى المجتمع، مع الجمع بين النظرية والتطبيق، وبين البعد الفردي والجماعي للأخلاق.

(١) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ٢٤٠، ويراجع: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ)، تحقيق: جـ١صـ ٣٨٦، ٣٨٧.

المبحث الأول: الجانب النظري للأخلاق عند الإيجي وشراح المختصر.

أولا: تعريف الخلق لغة واصطلاحًا:

الخُلُق في اللغة: الخُلُق، بالضم، وبضمتين: السَجِيَة[1]؛ وذلك لأن صاحب الخلُق قَدْ قُدِّرُ عَلَيْهِ[2].

وقد توسع بعض علماء اللغة في المعاني التي يمكن أن يُطلق عليها الخُلق بضَمِّ اللَّام وَسُكُونِهَا؛ حيث ذكروا أنه يقال على «الدِّين، والطبْع، وَالمروءة»، وجمعه: أخلاق[3].

وقد ذكر الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) وجه الفرق بين الخَلْقُ والخُلْقُ، فقال: «خُصّ الخَلق بالهيئات والأشكال والصّور المدركَة بالبصر، وخُصّ الخُلق

---

(١) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: جـ٤ صـ١٤٧١، ط٤، دار العلم للملايين – بيروت (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م).

(٢) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: جـ٢ صـ٢١٤، ط، دار الفكر، دمشق (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).

(٣) ينظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ): جـ١٠ صـ٨٦، ط٢، دار صادر، بيروت (١٤١٤هـ)، والقاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: صـ٨٨١، ط٨، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

بالقوى والسّجايا المُدرَكة بالبصيرة».[١]

ولم يغفل شرَّاح «المختصر» عن الإشارة إلى المعنى اللغوي لكلمة «الخُلق»، فذكروا أن الخُلق في اللغة هو السجية والطبع الذي خُلق عليه الحيوان.

يقول منجم باشا (ت١١١٣هـ): «الخُلق بضم المعجمة، وبسكون العين وبضمه أيضاً هو السجية في اللغة»[٢].

ويقول إسماعيل مفيد (ت١٢١٧هـ): «وهو – الخُلُق – بضمتين، أو بضمّ لغة: ما خُلق عليه الحيوان من السجية»[٣].

وأيًا ما كان الأمر فإن أصل كلمة «الخُلُق» يدور حول معنى السجية والطبع الذي جُبِل عليه الإنسان، أي: ما يكون ثابتًا في النفس غير مكتسبٍ، وتمييز الراغب الأصفهاني بين «الخَلق» و «الخُلُق»، تمييزٌ دقيقٌ يُبرز البُعد الروحي في استعمال الكلمة، ويربط بين الظاهر والباطن؛ فـالخَلق يُدرَك بالبصر؛ لأنه هيئة الجسد بينما الخُلُق يُدرَك بالبصيرة؛ لأنه هيئة النفس، وقد التزم شُرّاح المختصر بهذا المعنى اللغوي، فربطوا الخُلُق بالسجية والطبع، مما يعكس استمرار الفهم التراثي لهذا المصطلح دون انحراف عن جذوره اللغوية، مما يُعدّ تمهيداً مهمًّا لفهم المعنى الاصطلاحي للخُلُق.

---

(١) المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي: صـ٢٩٧، ط١، دار القلم، بيروت (١٤١٢هـ). وقد ذكر الإمام الغزالي أيضاً هذا الفرق بين الخَلْقُ والخُلْقُ. يراجع: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: جـ٣ صـ ٥٣، دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ).

(٢) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ٢٣٩.

(٣) شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ١٠٤.

تعريف الخُلق في الاصطلاح:

إن تحديد مفهوم الخُلُق من الأمور المهمة للباحث في الجانب النظري من علم الأخلاق الإسلامي؛ إذ يشكّل الأساس الذي تُبنى عليه دراسة أحوال السلوك الإنساني وتقويمه، وقد اهتَم علماء الأخلاق بتحديد مفهوم الخُلُق؛ لتمييزه عن معناه اللغوي العام، ولإبراز أثره في تكوين الشخصية الإنسانية وتوجيه أفعالها؛ فالخُلق في نظرهم صفة راسخة في النفس، تصدر عنها الأفعال بسهولة من غير تكلّف، وإعمال فكر.

عرَّفه ابن مسكويه (ت٤٢١هـ) بأنه «حال للنفس داعية لها إلى أفعالها من غير حاجة إلى فكر ولا روية»(١).

وعرّفَه الإمام أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) بأنه: «عبارة عن هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة المحمودة عقلًا وشرعًا سميت تلك الهيئة خُلقًا حَسنًا، وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سُميت الهيئة التي هي المصدر خلقًا سيئًا»(٢).

وعرّفه الشيخ أحمد زروق (ت٨٩٩هـ) بأنه: «هيئة راسخة في النفس تنشأ عنها الأمور بسهولة، فحَسَنُها حَسن، وقبيحُها قبيح»(٣).

والمتأمل في هذه التعريفات يجد أنها اتفقت على أن الخُلُق أمر باطني

---

(١) تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ): صـ٣٩.

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: جـ٣صـ ٥٣.

(٣) تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في أمور أعمها التصوف وما فيه من وجوه التعرف، للشيخ أحمد زروق الفاسي (ت٨٩٩هـ)، تحقيق: نزار حمادي: صـ٢٧٧، المركز العربي للكتاب، الشارقة (بدون تاريخ).

مرتبط بالنفس، ويصدر عنها بلا تأمل ولا نظر.

وعند التحقيق نجد أنه على الرغم من تأثر الإمام الغزالي بتعريف ابن مسكويه إلا أن الإمام الغزالي كان تعريفه أعمق؛ حيث ربط تعريف الخُلق بالثبات والرسوخ في النفس، وقد انتقل هذا الأثر إلى الشيخ زروق، وإن كانت صياغته للتعريف مختصرة عن عبارة الإمام الغزالي.

التعريف الاصطلاحي للخلق عند الإيجي وشرَّاح المختصر.

لم يبتعد الإمام الإيجي كثيراً عن المعنى الذي ذهب إليه ابن مسكويه، والإمام أبي حامد الغزالي من قبل عند تعريفهم للخلق، وإنما تأثر به، ومن ناحية أخرى طَوَّرَ عضد الدين الإيجي التعريف بإضافته لفظ «**مَلَكة**» الذي نبَّه شراح المختصر على أهميته في ضبط تعريف الخلق.

فالخُلق عند الإيجي: «مَلَكة تصدر عنها الأفعال النفسانية بسهولة من غير روية»(١).

وهذا التعريف قد اشتهر بين علماء الأخلاق، وقاموا بشرحه وتحليله إلى الحد الذي رأيناه عند أحد علماء السادة الأحناف وهو أبو سعيد الخادمي (ت١١٥٦هـ)؛ حيث تأثر به لفظًا ومعنى(٢).

ولقد أوجز قوام الدين القزويني (ت١١٤٠هـ) في شرح هذا التعريف حينما قال في أرجوزته:

الخُلق فاعرف حدّه إجمالًا مَلَكَةً تُسَهِّل الأَفعَالا(٣).

---

(١) المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(ت٧٥٦هـ): صـ٧.

(٢) ينظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لمحمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (ت ١١٥٦هـ)، جـ٢صـ٣١، ط١، مطبعة الحلبي (١٣٤٨هـ).

(٣) نظم تهذيب الأخلاق، لقوام الدين القزويني، صـ٢١٧.

ويكشف شمس الدين الكرماني عن السبب في وضع الإمام الإيجي مصطلح «**مَلَكة**» في تعريف الخُلق دون مصطلح «**حالة**»؛ حيث إن الملكة صفة راسخة في النفس، أما الحالة فهي صفة غير راسخة.

يقول شمس الدين الكرماني: «الكيفيات النفسانية منقسمة إلى قسمين: حَالة ومَلَكة. أما الملكة: فهي صفة راسخة في النفس، ثم إنا نمهد مقدمة لك بها تتضح حقيقة الملَكة والحالة، وهي أنه قد يحصل للنفس هيئة بسبب فعل من الأفعال، ويقال لتلك الهيئة كيفية من الكيفيات النفسانية، وتسمى حالة ما دامت سريعة الزوال، فإذا تكررت وأذعنت النفس لها، فصارت النفس كل مرة أسهل تأثرًا وقبولًا حتى ترتسخ تلك الكيفية فيها، وتصير بطيئة الزوال فصارت ملكة، وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقًا»(١).

وفي هذا الأمر يتحدث منجم باشا قائلًا: «الملكة هي الكيفية الراسخة في النفس، وتسمى حالًا قبل الرسوخ، وإنما تحصل فيها من مزاولة العمل الاختياري، ثم ترسخ فيها من تكرار تلك المزاولة»(٢).

ومما يزيد الأمر وضوحًا ما ذكره **طاش كبرى زاده** في تحديد الوقت الذي تسمى فيه الملكة خلقًا؛ حيث قال: «والملكة تسمى خُلقًا إن كان صدورها عن النفس بلا تجشم، بل بسهولة وبلا روية(٣).

وقد ركز الشَرّاح على أن المراد بالأفعال الإنسانية في التعريف هي الأفعال الاختيارية لا الاضطرارية.

يقول منجم باشا: «والمراد بالأفعال النفسانية هي الأفعال الاختيارية،

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني(ت٧٨٦هـ): صـ٥١، ٥٢.
(٢) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ٢٥١.
(٣) شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٣٥.

والفعل الاختياري هو الفعل الصادر عن فاعل مختار بشعور واختيار على مناهج مختلفة بحسب الإرادة والاختيار، بخلاف الفعل الطبيعي فإنه واقع على منهج واحد دائماً وليس بمبدأه شعور به»(١).

وخلاصة القول: أن عضد الدين الإيجي ومن معه من الشراح عندما قاموا بتعريف الخلق، فإنهم ركزوا على أنه ملكة أو صفة راسخة تتكون في النفس بالممارسة والتكرار؛ مما يكون سبباً في صدور الأفعال عنها بسلاسة ودون تفكير، وترتبط بالأفعال الاختيارية الواعية لا الأفعال الاضطرارية.

ثانيًا: بعض الأحكام المتعلقة بالخلق.

بعد أن عرّف الإيجي الخلق قام بذكر بعض الأحكام المتعلقة به، ومنها ما يلي: –

الحكم الأول: تغيير الخُلق.

اختلفت آراء علماء الأخلاق في أن الأخلاق هل تقبل التغيير أو لا؟

فالأكثرون ذهبوا إلى أن الأخلاق تقبل التغيير، وذهبت جماعة إلى أنها لا تقبل، وآخرون قالوا بعضها يقبل التغيير وبعضها لا يقبله.

وقد نبه **منجم باشا، وإسماعيل مفيد** على أنه ينبغي علينا أن نعلم عدة أمور قبل الشروع في بيان هذه الآراء، وبيان هذه الأمور فيما يلي: –

الأمر الأول: تحرير محل النزاع حتى نفهم المراد من هذه المسالة.

يقول منجم باشا: «لا شك أن الخلاف فى دوام الخُلق وعدم دوامه للنفس لا في ضروريته لها لذاتها؛ إذ لو كان ضروريا لها لذاتها لزم اشتراك جميع الناس عنها لذاتها، وظهر من ذلك أن من قال بامتناع زواله عنها أراد دوامه

(١) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ٢٥١، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ١٠٤.

معها ما دامت متعلقة بالبدن، فتكون دعواه عرفية عامة لا ما دامت موجودة حتى تكون الدعوى دائمة مطلقة؛ لأنه قد أخرج كلامه إلى أن أسباب الأخلاق أمور طبيعية مزاجية دائمة بدوام الطبيعة والمزاج، وهذا يدل على أن دعواه عرفية عامة لا دائمة مطلقة، وإن كان كذلك فلا تكون معارضته إلا بإثبات الحيثية المطلقة التي هي نقيض العرفية العامة باعتبار الجهة، أعنى: إثبات زوال الخُلق ومفارقته عن النفس في بعض أوقات التعلق...، فمحل النزاع هو إمكان تغير الخلق لا بالنظر الى ذاته فإنه عرض، ولا يشك أحد في إمكان تغير العرض، ولا بالنظر إلى ذات محله، أي: النفس من حيث هي نفس، بل بالنظر الى النفس من حيث تعلقها بالبدن»(١).

فمنجم باشا يؤكد على تحرير محل النزاع بين أصحاب الآراء المختلفة في قابلية الخُلق للتغيير وعدم قابليته؛ فالنزاع الحقيقي هو إمكان تغيّر الأخلاق للنفس أثناء تعلقها بالبدن، لا في ذات الخُلق؛ لأنه عرض متغير بطبيعته، ولا في ذات النفس؛ فالأخلاق ليست ضرورية لذات النفس؛ لأنها لو كانت كذلك لاشترك جميع البشر في الأخلاق نفسها، وهو أمر باطل، بل الخُلُق عرض مفارق للنفس، ويمكن أن يزول عنها بطبيعتها؛ فالنزاع ليس في إمكان زوال الخُلُق مطلقًا، بل في دوامه حال تعلق النفس بالبدن، علماً بأن القائلين بالدوام يرونه دواماً عرفياً عاماً، لا دواماً مطلقًا بعد مفارقة النفس للبدن.

الأمر الثاني: ارتباط تغيير الخُلُق بطبيعة القوى النفسانية.

ويشير منجم باشا أيضاً إلى أمر مهم يجب الوقوف عليه قبل الشروع في

(١) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ) باختصار: صـ٢٥٣، ٢٥٤، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ١٠٥.

المسألة، وهو «أن الخلاف في إمكان تغيير الأخلاق مرتبط ارتباطًا وثيقًا بـــطبيعة القوى النفسانية؛ فالقائلون بإمكان تغيير جميع الأخلاق؛ بنو رأيهم على أساس أن كل قوة نفسانية تصلح للخير والشر معًا، والقائلون باستحالة التغيير، تأسس رأيهم على أن بعض القوى مجبولة على الخير فقط، وبعضها الآخر جُبِلَ على الشر فقط؛ فيستحيل أن تتحول القوة المجبولة على الخير إلى الشر أو العكس، ومن ثم فالأخلاق الناتجة عنها ثابتة لا تتغير، والقائلون بالتغيير الجزئي؛ بناء على أن بعض القوى مجبولة للخير فقط، وبعضها للشر فقط، وبعضها للاثنين معًا؛ ولذا فإن بعض الأخلاق يمكن تغييره، وبعضها الآخر ثابت لا يقبل التغيير، فمحل النزاع الحقيقي: هو طبيعة القوى النفسانية، لأنها الأساس الذي تُبنى عليه المَلَكات والأخلاق»(١).

فجوهر الخلاف في إمكان تغيّر الأخلاق يعود إلى أساس فلسفي، وهو طبيعة القوى النفسانية؛ فمَن رأى إمكان التغيير جعلها قابلة للخير والشر معًا، ومن نفاه عدّها مجبولة على أحدهما فقط، ومن قال بالتغيير الجزئي رأى تباينها بين هذه الحالات، فالنزاع الحقيقي في طبيعة القوى النفسية التي تُنشِئ الأخلاق.

الأمر الثالث: أثر الإرادة والاختيار في تغيير الأخلاق.

يؤكد منجم باشا على أن الخلاف ليس في تغيّر الأخلاق طبيعيًا مع تغيّر القوى النفسانية، فهذا لا نزاع فيه، وإنما الخلاف في تغيّر الأخلاق بالإرادة والاختيار: بمعنى: هل الأخلاق مكتسبة وقابلة للتغيير بالإرادة، أم أنها ثابتة

(١) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٤ بتصرف. ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٣٥.

طبعاً ولا يمكن تغييرها؟[١].

أما عن الآراء في مسألة إمكان تغيير الأخلاق: فقد تبلورت في ثلاثة مذاهب رئيسة، رَجّح عَضد الدين الإيجي الرأي الأقوى من بينها، وهو ما ذهب إليه معظم المحققين، ولم يُعرَف عن أحدٍ من الشُّرّاح مخالفة هذا الاختيار؛ إذ اتفقوا جميعاً على القول بإمكان تغيير جميع الأخلاق.

الرأي الأول: إمكان تغيير الخلق: وهذا الرأي قد ذهب إليه أكثر المحققين، ومنهم عضد الدين الإيجي، وابن مسكويه[٢]، والغزالي[٣]، وغيرهما[٤].

يقول عضد الدين الإيجي: «ويمكن تغييرها، للتجربة، ولورود الشرع به، واتفاق العقلاء»[٥].

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٤، ٢٥٥، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): ص٣٥، وقد أشار الإمام الغزالي من قبل إلى هذا الاعتبار في إمكان تغيير الخُلق: ينظر: ميزان العمل، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: د. سليمان دنيا: صـ٢٤٧ – ٢٤٩، ط١، دار المعارف، القاهرة (١٩٦٤م).

(٢) ينظر: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ): صـ٣٩.

(٣) ينظر: ميزان العمل، لأبي حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ): صـ٢٤٧، وإحياء علوم الدين، له أيضاً: جـ٣ صـ ١٦٩.

(٤) ينظر: عوارف المعارف، لشهاب الدين أبي حفص عُمر السُهروردي (ت٦٣٢هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف: جـ٢صـ٩٨، دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ). وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لأبي سعيد الخادمي (ت ١١٥٦هـ)، جـ٣ صـ٧١.

(٥) المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين الإيجي(ت٧٥٦هـ): صـ٧.

أدلة هذا الرأي:

ومن خلال ما ذكره الإيجي فإن الشراح ذكروا أدلة ثلاثة لهذا الرأي:

الدليل الأول: التجربة اليقينية: أي ملاحظة تغيّر أخلاق بعض الناس مراراً تُثبت إمكان التغيير للجميع.

يقول إسماعيل مفيد: في بيان هذا الدليل: «للتجربة اليقينية، وهو العلم بصدور أثر من مؤثر مرة بعد أخرى بحيث يحصل به اعتقاد جازم ثابت مطابق للواقع، وتقريره: أن كل خلق يمكن تغييره إمكاناً وقوعياً؛ لأن بعض الأخلاق قد وقع تغييره بالمشاهدة مراراً، وكل ما هذا شأنه قد أمكن تغييره، وإذا أمكن تغيير البعض أمكن تغيير الكل إمكاناً ذاتياً، وفيه أن المراد الإمكان الوقوعي كما عرفت، ولا يلزم من وقوع التغيير في البعض وقوعه في الكل»(١).

فالتجربة اليقينية دليل على إمكان تغيير الأخلاق؛ إذ أن مشاهدة تغيّر بعض الأخلاق في الواقع العملي تُثبت إمكان التغيير في ذاته، مع الأخذ في الاعتبار أن وقوع التغيير في بعض الأخلاق لا يعني بالضرورة وقوعه في جميعها، بل يُثبت إمكانه الذاتي فقط.

الدليل الثاني: الشرع: فأوامر الشرع ونواهيه تهدف لتهذيب النفس، ولو كان التغيير مستحيلاً لكان الأمر بها عبثًا.

ويتحدث **علاء الدين الكازروني** عن هذا الدليل فيقول: «لورود الشرع به، أي: بتغيير بعض الأخلاق، كالنهي عن البخل والإسراف والكذب وغيرهما، ولا

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٣٧، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ٣٧، ٣٩، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ): صـ٣٧، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٥، ٢٥٦.

يُكلف بغير الممكن»[1].

ولقد ألمح شراح المختصر إلى أمر مهم في هذا المقام، وهو أن القول بعدم إمكان تغيير الخلق يترتب عليه جواز التكليف بما لا يطاق، من ذلك ما قاله طاش كبرى زاده: «ولا يخفى أن عدم وقوع التكليف بما لا يطاق يستلزم القول بإمكان تبديل الأخلاق»[2].

يشير النص إلى دقة نظر الشراح في الربط بين المسائل الأخلاقية والمسائل الكلامية، فطاش كبرى زاده يلفت النظر إلى أن القول بعدم إمكان تغيير الأخلاق يؤدي إلى بعض اللوازم الفاسدة بناء على مذهبه، أهمها جواز التكليف بما لا يُطاق، وهو مرفوض في الاتجاه الماتريدي.

الدليل الثالث:

اتفاق العقلاء: وإقرارهم بتأثير التربية دليل على إمكان تغيير الأخلاق.

يقول منجم باشا: «اتفاق العقلاء على بعض ما يستلزم القول بإمكان التغيير، وإن لم يقل بالإمكان اللازم بعضهم ظاهراً، مثل اتفاقهم على تأثير التربية، وإفادة التدبير والسياسة، وهذا يستلزم إمكان التغيير والقول به، فحينئذ لا يرد على المصنف أن الوفاق لا يتصور عند وجود الخلاف...، والمراد بالعقلاء هم الذين يعتد بأقوالهم، وتقرير الاستدلال بذلك هكذا: التغيير ممكن؛ لأنه مما اتفق عليه العقلاء، وكل ما اتفق عليه العقلاء فهو واقع، فإمكان التغيير

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ٣٩.

(٢) شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٣٧، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ٥٢، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٦، ٢٥٧، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٣٩.

واقع. هذا دليل إقناعيٍ»[1].

إن اتفاق العقلاء على أثر التربية والتدبير والسياسة دليل على إمكان تغيير الأخلاق؛ لأن إقرارهم بتأثير هذه العوامل يعني الإقرار بوقوع التغيير، والمقصود بالعقلاء هم أهل الرأي المعتبر لا جميع الناس، والاتفاق المذكور اتفاق إضافي لا حقيقي، وهذا دليل إقناعي لا إلزامي.

وقفة مع هذا الدليل:

المح الكازروني إلى أمر مهم في هذا الدليل: وهو أن دعوى الاتفاق فيها نظر: «فإن العقلاء اختلفوا في التغيير، فقيل كل خلق طبيعي ولا يقبل الزوال ...، وقيل: بعضه طبيعي وبعضه عادي يقبل، وقيل: الخُلق ليس بطبيعي ولا يخالف الطبيعة، بل للنفس في ذاتها قابلية محضة لطرفي التضاد إما بالسهولة إن وافق المزاج أو بالصعوبة إن خالفه»[2].

والحق أن هذا التنبيه الذي أشار إليه الكازروني له وجاهته، إلا أنه لم يكن غائباً عن غيره من الشراح؛ إذ أنهم لم يقصدوا كل العقلاء، بل على حد تعبير الكازروني: «المراد بالعقلاء هم الذين يعتد بأقوالهم»، كما أن **إسماعيل مفيد** قد عيَّن المقصود بالعقلاء، فقال: «ولاتفاق العقلاء المجتهدين على إمكان تغيرها، أو الكاملين على أنه لغوي، فلا يرد أن الاتفاق ينافي الخلاف المذكور»[3].

ومما يقطع النزاع في هذا الأمر هذه الإشارة اللطيفة التي ذكرها **إسماعيل مفيد**؛ إذ على أساسها يظهر أن النزاع بين القائلين بإمكان تغير الأخلاق والقائلين

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٧، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٣٩.

(٢) شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٣٩ باختصار.

(٣) شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٣٩.

بعدم الإمكان نزاع لفظي، ويظهر ذلك في قوله: «إمكان التغير بالنسبة إلى مزاج كل شخص لا بالنسبة إلى مزاج آخر، فلعل القول بالامتناع بالنظر إلى أفضل الحالات في نفس الأمر، لا بالنظر إلى حال زيد وعمرو ...، وعلى هذا يمكن لفظية النزاع بين الإمكان والامتناع»(١).

وقد جمع قوام الدين القزويني (ت١١٥٠هـ) هذه الأدلة الثلاثة سالفة الذكر في بيت واحد فقال:

تغييره جازَ فشرع أدَّبا ::: والعُقلاء اتفقُوا وجَرَّبا(٢).

والحق أن عضد الدين الإيجي قد اقتصر على المذهب القائل بإمكانية تغيير الأخلاق بالإرادة والاختيار، دون التعرض للمذهبين الآخرين، أعني: مذهب المانعين، ومذهب التبعيض.

ويرجع السبب في ذلك كما ذكر **منجم باشا إلى أمرين:** «**الأول:** أن مذهب المُجوِّزين هو المختار عند أغلب المحققين من الحكماء والمتشرعين، **والثاني:** أنّ الفائدة العملية لعلم الأخلاق لا تظهر إلا على هذا المذهب؛ إذ يُمكن تربية النفس وتحسين أخلاقها»(٣).

وقد قام منجم باشا بعرض المذهبين الآخرين «مذهب المانعين، ومذهب التبعيض»، وقام بالرد عليهما.

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٣٩، ٤١.

(٢) نظم تهذيب الأخلاق، لقوام الدين محمد بن محمد مهدي حسيني سيفي قزويني صـ٢١٧.

(٣) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٧ باختصار.

الرأي الثاني: امتناع التغيير.

استند صحاب هذا الرأي إلى أن الأخلاق طبيعية، وما هو طبيعي لا يمكن تغييره بالاختيار، وقد ذكر أبو سعيد الخادمي (ت ١١٥٦هـ) أن هذا الرأي يُنسب للملاحدة(١).

والرد عليهم: أن الأخلاق ليست طبيعية خالصة؛ لأنها مرتبطة بأفعال اختيارية وقوى نفسية يمكن توجيهها.

وبيان ذلك: أنه إن كان مقصدهم أنّ الأخلاق ناشئة من طبيعة النفس وذاتها فهذا باطل؛ إذ النفس قابلة للاكتساب، وإن كان مقصدهم أنّ الأخلاق مسببة عن أمر طبيعي، فهذا أيضاً باطل؛ لأن سببها القريب هو الأفعال الاختيارية وليست طبيعية، وسببها البعيد: هو القوى النفسانية، وهي وإن كانت طبيعية في ذاتها، لكن استعمال النفس لها اختياري، **وبناء على ذلك:** فإن الأخلاق ليست طبيعية محضة ولا اختيارية محضة، بل مزيج منهما؛ فالأفعال والملكات قابلة للتغيير بالتربية والمجاهدة، إلا أنه قد توجد بعض القيود الطبيعية التي تحد من التغيير التام(٢).

الرأي الثالث: التبعيض: ويرى أصحابه أن بعض الأخلاق يمكن تغييرها بالإرادة، وبعضها لا يمكن تغييره؛ لأنه تابع لطبيعة المزاج وقواه النفسانية، فالأخلاق المتأثرة بالمزاج الطبيعي الثابت يصعب تغييرها، بينما الأخلاق المكتسبة يمكن تعديلها.

وقد قام منجم باشا بالرد على هذا المذهب؛ حيث إن إنكار قدرة النفس

---

(١) ينظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لأبي سعيد الخادمى (ت ١١٥٦هـ): جـ٢صـ٣٢.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٧، ٢٥٨.

على تغيير القوى كلياً باطل؛ لأن تغيير المزاج ممكن بالعلاج والأسباب، وهذا مشاهد في الطب، والقوى النفسانية تابعة للمزاج، فإذا تغيّر المزاج تغيّرت القوى بالتبعية، فلكل شخص مزاج خاص له حدود طبيعية بين الإفراط والتفريط، فالتغيير ممكن داخل هذه الحدود حتى يصل المزاج إلى أفضل حالاته، لكن التغيير المطلق غير ممكن؛ إذ لا يمكن تجاوز أقصى الحدود الطبيعية دون فساد أو هلاك، وبناء على ذلك يمكن القول: إن تغيير المزاج يؤدي إلى تغيير القوى النفسانية، ثم تغيير الأفعال، ثم تغيير الأخلاق الناتجة عن هذه الأفعال(١).

الجمع بين الآراء الثلاثة:

بعد أن عرض منجم باشا رؤية المذاهب الثلاثة والأدلة والمناقشات، فإنه قدَّم محاولة للجمع بين المذاهب الثلاثة يمكن تلخيصها فيما يلي: –

المُجوِّزون: نظروا لإمكان تهذيب كل خُلُقٍ بحيث يبلغ أفضل حالاته الممكنة لصاحب، **والمانعون:** نظروا إلى أن التهذيب هو بلوغ أفضل الحالات على الإطلاق، ومن ثم فهو غير ممكن؛ لتقيّده بحدود المزاج والطبيعة، **وأصحاب التبعيض:** فرّقوا بين حالتين داخل الشخص نفسه: خُلُقٌ بلغ حدَّه الأفضل بالنظر لصاحبه، وهذا لا يُحرِّك في الجهة المطلوبة إلى ما هو أعلى من حدّه إلا إن غُيِّر المزاج نفسه وإن أمكن تحريكه في اتجاه آخر، وخُلُقٌ لم يبلغ بعدُ حدَّه الأفضل، فيمكن تغييره نحو الأفضل حتى يصل إلى ذلك الحد(٢).

وبناء على ما سبق فإن الأخلاق يمكن تهذيبها حتى تصل إلى أفضل حالاتها الممكنة بالنسبة للشخص نفسه، لكن لا يمكن بالضرورة جعلها مثالية

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٥٨– ٢٦٠.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٦٠، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٣٩، ٤١.

على الإطلاق أو مساوية لغيره، ويمكن لبعض الأعمال الروحية التي من شأنها تزكية النفس وتهذيبها أن تؤثر في المزاج، الذي يؤثر بدوره في القوى النفسية، ثم في الأفعال، ثم في الأخلاق، فالتغيير ممكن لكنه نسبي؛ بحيث يمكن تهذيب كل شخص ليصل إلى أفضل مستوى يناسب طبيعته ومزاجه.

الحكم الثاني: أثر المزاج في اختلاف الطباع وقابلية التغيير.

تحدث عضد الدين الإيجي بصورة مختصرة عن صلة المزاج بالأخلاق مبيناً أثره في اختلاف الطباع وقابلية التغيير بين الناس.

يقول عضد الدين الإيجي: «ويختلف الاستعداد فيه بحسب الأمزجة»(١).

وقد قام شراح المختصر ببيان المقصود من عبارة الإيجي، فعلى الرغم من أن أصول الأخلاق موجودة عند الجميع، إلا أن الناس متفاوتون في سرعة الاستجابة للتربية الأخلاقية، لكن تفاوت الناس في قوة الصفات وقابلية التهذيب بسبب اختلاف الأمزجة الشخصية.

يقول شمس الدين الكرماني: «إن استعدادات الأشخاص مختلفة فيه بحسب تفاوت الأمزجة والطباع في الشدة والضعف، فأخلاق بعض لشدة مزاجه يقرب من أن لا يكاد ينفك عنه كأنها نظرية له، وأخلاق بعض آخر قد يكون بصدد الزوال؛ بحيث لو همَّ بإزالتها لَيزُول بسهولة وأدنى معالجة، وهذا المعنى بحسب عود الضمير في قوله (فيه) إلى(التغير)، وأما إذا كان مرجعه (الخَلق)، فمعناه: أن استعدادات الأشخاص مختلفة بحسب الأمزجة، يعني أن تلك الكيفيات قابلة للشدة والضعف، يختلف الناس بحسبها في الملكات، وذلك لاختلاف أحوال نفوسهم وأمزجتهم، وبحسب تلك الشدة والضعف يتفاوتون في أخلاقهم الفاضلة

(١) المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(ت٧٥٦هـ): صـ٧.

والرزيلة، فيكون بعضهم أشد أو أضعف استعداداً للغضب، وبعضهم للشهوة، وكذا في سائرهما»[١].

فالاختلاف بين البشر في الأخلاق، وسرعة التأثر بالتربية، بل وحتى القدرات العقلية، يرجع إلى اختلاف أمزجتهم الشخصية الناتج عن تركيب أجسامهم[٢]؛ فالمزاج المعتدل يجعل الشخص أكثر استعداداً لاكتساب الفضائل، بينما المزاج غير المعتدل قد يكون سبباً في صعوبة هذا الاستعداد.

ثالثًا: اعتدال قوى النفس أساس الفضائل ومصدر العدالة عند الإيجي والشراح.

وضع عضد الدين الإيجي رؤية علمية تجعل الاعتدال جوهر الأخلاق الإنسانية، وتربط الكمال الإنساني بتناغم القوى الثلاث بتوجيه من العقل والشرع، ويمكننا أن نتعرف على ملامح هذه الرؤية من خلال النقاط التالية.

١- قوى النفس الثلاث وأثرها في البناء الأخلاقي.

ذكر عضد الدين الإيجي للنفس الإنسانية ثلاث قوى رئيسة، وحدد لكل قوة حالتها التي ينبغي أن تكون عليها (الفضيلة)، وحالتي الانحراف (الإفراط والتفريط)، مؤكداً على أن الفضيلة الحقيقية هي الاعتدال، بشرط أن تصدر بلا غرض ولا تفكير؛ لأنها خير وكمال في ذاتها.

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني(ت٧٨٦هـ): صـ ٥٢، ٥٣، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ٤١، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٤١.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٤١، ٤٣، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٦٠ – ٢٦٤.

يقول عضد الدين الإيجي: «وقوى النفس ثلاث: **النُطق:** فاعتدالها: الحكمة، وإفراطها: الجُرْبُزَةُ، وتفريطها: الغباوة، **والغضب:** فاعتدالها: الشجاعة، وإفراطها: التهور، وتفريطها: الجبن، **والشهوة:** فاعتدالها: العفة، وإفراطها: الفجور، وتفريطها: الجُمود، والفضائل: هي الأوساط، فهي ثلاث، والأطراف رذائل، فهي ستة بحسب الكمية. ومنها رداء الكيفية، أما في الحكمة: فكمَن يتعلمها لمجاراة العلماء ومماراة السفهاء، وأما في الشجاعة: فكمَن يمارسها للصيت والغنيمة، وأما في العفة: فكمَن ترك اللذة ويقصد اعتياض أكثر منها في الآخرة، أو الجاه في الدنيا، وإنما هي فضائل إذا لم يشُبها غرض، وصدرت بلا روية لأنها خير وكمال»(١).

فالإيجي يشير إلى أن اعتدال قوى النفس أساس التوازن النفسي، والفضائل الخلقية، حيث إن قوى النفس ثلاث: **القوة الناطقة:** وفضيلتها الحكمة، وانحرافها إمّا إلى الجُرْبُزَةُ، وهي المكر المذموم، أو الغباوة والبلادة، **وقوة الغضب:** وفضيلتها الشجاعة، وانحرافها إمّا إلى التهور، أو الجبن، **وقوة الشهوة:** وفضيلتها العفة، وانحرافها إمّا إلى الفجور أو الجمود، كما يؤكد على أن كمال الفضيلة لا يتم إلا بشرطين: الأول: أن تكون الأفعال صادرة عن النفس دون غرض شخصي أو نفع دنيوي، والثاني: أن تصدر دون نظر وفكر بطريقة تُشعِر بأن الفضيلة كمال وخير في ذاتها.

ولقد اعتنى الشُرَّاح بهذه المسألة عناية كبيرة، وقاموا بتفصيلها وتحقيقها مما يصعب حصره في هذا المقام، وسأقتصر على أهم الملامح العامة التي ذكروها لفهم عبارة الإيجي، ومنها ما يلي: –

(١) المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين الإيجي(ت٧٥٦هـ): صـ ٨ – ١٢.

- **قوى النفس الثلاث وعلاقتها بأفعالها الإرادية.**

إن النفس الناطقة لها ثلاث قوى أساسية تساعدها في أفعالها الاختيارية؛ وهذه القوى ترتبط بثلاث مقدمات لا غنى عنها منها في أي فعل اختياري؛ لأنها تحتاج إلى تصور الفعل، ثم إرادته، ثم القدرة على تنفيذه، ومن ثم كان لها ثلاث آلات بدنية تقابل هذه المقدمات.

يقول إسماعيل مفيد: «قوى النفس ثلاث. شروع في بيان الآلات البدنية التي تستعين بها النفس الناطقة في أفعالها الاختيارية، فالمراد بالقوة تلك الآلة لا مبدأ التأثير مطلقاً في نفس المؤثر أو مقتضيًا بالتأثير في المؤثر، ولا القدرة التي بها يتمكن الحيوان من الأفعال الشاقة، ولا الكيفية التي بها يكون محركًا لما ينفعل، ولا إمكان حصول الشيء مقابل الفعل، ولا الإمكان الذاتي، ويقال لها القوة البعيدة، وتصير قريبة بانضمام الشروط وارتفاع الموانع، فإن القوة تطلق على كل منها بالاشتراك أو بالحقيقة والمجاز؛ وإنما كانت ثلاثًا لأن مقدمات الفعل الاختياري ثلاث: التصور والإرادة والقدرة فكانت آلاتها ثلاثًا أيضًا»(١).

ولا يخفى أن هذه الفكرة كانت توجد في البيئة اليونانية عند أفلاطون(٢)، وأرسطو؛ حيث إن أرسطو كان يرى «أن الفضيلة ليست طبيعية، ولكن الطبيعي

(١) شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٤٣، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٦٤، والطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، للإمام البركوي محمد بن بير علي البركلي (ت٩٨١هـ)، تحقيق: محمد رحمة الله حافظ محمد ناظم الندوي: صـ١٥٤، ١٥٥، ط١، دار القلم، دمشق (١٤٣٢هـ = ٢٠١١م).

(٢) الجمهورية، أفلاطون، ترجمة: حنا خباز: صـ١١٢ بتصرف، ويراجع: والأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، د. مصطفى حلمي: صـ٤٢، ٤٣، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م).

فينا قوى واستعدادات»[1].

- **الاعتدال والتوسط هو مصدر الفضائل:**

إن اعتدال كل قوة من قوى النفس الثلاث هو سبب حدوث الفضائل الثلاث (الحكمة، الشجاعة، العفة)، والإفراط أو التفريط يُولِّد الرذائل الستة (الجُربزة، الغباوة، التهور، الجبن، الفجور، الجمود).

يقول طاش كوبرى زاده: «فهذه الاعتدالات هي أمهات مكارم الأخلاق التي بُعِث النبي – صلى الله عليه وسلم – لإتمامها، **(والأطراف رذائل هي)**، أي: الأطراف (ستة)؛ إذ لكل من الفضائل الثلاثة طرفان، وهي: الجُرْبُزَةُ والغباوة **للحكمة**، والفجور والجُمود **للعفة**، والتهور والجبن **للشجاعة**؛ فسلوك الفضيلة كسلوك الخط المستقيم، كالقطر من الكرة، وسلوك الرذائل كالدواوير الموازية للمحيط»[2].

وللتحقيق فإن أرسطو قد قال سلفًا بأن الاعتدال بين الفضائل الخلقية لا سبيل له إلا من خلال التوسط، **يقول أرسطو:** «الفضيلة استعداد مكتسب وراسخ للفعل الإرادي التأملي، وفقًا لوسط عادل يتحدد بالنسبة إلينا، وكما يحدده

(١) ينظر: الأخلاق، لأرسطو طاليس، ترجمة: إسحاق بن حنين، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي: صـــ٩٦، وتاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم: صـــ ٢٤٦، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (١٣٥٥هـــ = ١٩٣٦م)، والأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوي: صـــ١٤٢ – ١٤٥، ط٢، وكالة المطبوعات، الكويت (١٩٧٥م)، وفي الفلسفة والأخلاق، د. محمد كمال إبراهيم جعفر: صـــ١٨٩، ط١، دار الكتب الجامعية، (١٩٦٨م).

(٢) شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـــ): صـــ٤٩.

العقل»[1].

(١) الأخلاق، لأرسطو طاليس، ترجمة: إسحاق بن حنين، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي: صـــ٩٦، ويراجع: تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم: صـــ٢٤٨، ٢٤٩، والأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوي: صـــ١٤٥ – ١٥١.

٢- الفضائل المقصودة هي النفسانية.

يقول الكازروني: «اعلم أن هذه الفضائل هي النفسانية، وأما الفضائل البدنية فهي أربع: الصحة والجمال والقوة وطول العمر، وأما الفضائل الخارجية فهي أربع: المال والجاه والتبع وطول العمر»(١).

وقد أشار **الإمام الغزالي** إلى هذه الفضائل من قبل بصورة أشمل، وبين وجوه التكامل والترابط بينها؛ حيث إنها عدة مراتب تحتاج كل مرتبة إلى ما فوقها أو ما دونها لتحقيق الكمال، فلا يكتمل الانتفاع ببعضها إلا بوجود غيرها، وفي ذلك يقول: «الفضائل الخاصة بالنفس المقربة إلى الله تعالى أربعة: علم مكاشفة، وعلم معاملة، وعفة، وعدالة، ولا يتم هذا في غالب الأمر إلا بالنوع الثاني، وهو الفضائل البدنية، وهي أربعة: الصحة، والقوة، والجمال، وطول العمر، ولا تتهيأ هذه الأمور الأربعة إلا بالنوع الثالث، وهي النعم الخارجة اللطيفة بالبدن، وهي أربعة: المال، والأهل، والجاه، وكرم العشيرة، ولا ينتفع بشيء من هذه الأسباب الخارجة والبدنية إلا بالنوع الرابع، وهي الأسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل النفسية الداخلة، وهي أربعة: هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده؛ فمجموع هذه النعم ستة عشر، إذا قسمناها إلى أربعة، وقسمنا كل واحدة من الأربعة إلى أربعة، وهذه الجملة يحتاج البعض منها إلى البعض، إما حاجة ضرورية، أو نافعة»(٢).

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٤٩، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ٥٤، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٨٢، ٢٨٣.

(٢) إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: جـ٤ صـ ١٠٣، ويراجع: مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده: جـ٣صـ٤٥٩ وما بعدها.

٣- وجه اعتبار كونها فضائل:

إن الفضائل لا تصدر عن النفس إلا إذا اعتبرناها ملكات شريفة، وتُقصد لذاتها لا لغرض آخر.

يقول شمس الدين الكرماني: «الأوساط إنما تكون فضائل بشرطين: أحدهما: وجودي، والآخر: عدمي، أما الوجودي فصدورها بلا روية، وأما العدمي: فهو ألا يشوبها غرض من تلك الأغراض الفاسدة»(١).

٤- العدالة ليست فضيلة مستقلة، بل ثمرة اعتدال القوى الثلاث.

رجَّح منجم باشا اختيار عضد الدين الإيجي أن العدالة ليست أصلًا مستقلا، بل نتيجة طبيعية لاعتدال القوى الثلاث الأخرى، ووصف هذا الاختيار بأنه الأحق الأدق، ثم ذكر سبب اقتصار عضد الدين الإيجي على ثلاث قوى نفسية كأساس للأخلاق دون إدراج العدالة بينها كأصل مستقل؛ خلافًا لبعض العلماء فإنها ليست قوة قائمة بذاتها، بل حالة ناتجة عن اعتدال القوى الثلاث معًا؛ فهي ملكة ثانية مترتبة على الملكات الأولى وليست أصلًا أوليًا للنفس، أما من اعتبرها أصلًا مستقلًا؛ فبناءً على أنها ملكة شاملة تُمكِّن النفس من استخدام جميع قواها بالاختيار في المواضع الصحيحة(٢)، ويقابلها في هذه الحالة الظلم: وهو خروج القوى عن الاعتدال إلى الإفراط، والانظلام: وهو تعطيل القوى بالتفريط(٣).

ولقد ذكر الإمام البركوي (ت٩٨١هـ): أن هذه الطريقة – التي ذكرها

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني(ت٧٨٦هـ): صـ٥٤، ويراجع: الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، د. مصطفى حلمي: صـ٤٧.

(٢) ينظر: الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، للإمام البركوي (ت٩٨١هـ): صـ٣٣٩ وما بعدها.

(٣) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٨٢، ٢٨٣.

الإيجي – في ضبط الفضائل وحدودها هي طريقة المتقدمين، ومن سلك مسلكهم في حصر أصول الفضائل، وتفريع شعبها(١).

والحق ان هذه الحقيقة قد وجدت في البيئة اليونانية عند أفلاطون (ت٣٤٠ ق.م)؛ حيث رأى «أن العدالة ليست فضيلة مستقلة بذاتها، وإنما هي حالة الصلاح والبر الناشئة عن اجتماع الحكمة والشجاعة والعفة»(٢).

وصفوة القول فيما سبق: أن الاعتدال هو جوهر الأخلاق عند عضد الدين الإيجي، كما أن التوازن بين القوى الثلاث هو أساس الفضيلة عنده، ومن ثم فإن الإيجي قد مزج بين الإرث اليوناني في تحليل النفس وبين التوجيه الإسلامي الذي يربط الفضائل بمقاصد الخير؛ حيث إن الفضيلة الحقيقية لا تتحقق إلا إذا كانت صادرة بلا غرض دنيوي أو منفعة شخصية، كما أن شروح العلماء قد كشفت عن عمق الفكرة وأبعادها، مما ساعد على ترسيخ مكانة الإيجي في الفكر الأخلاقي لدى علماء الإسلام.

رابعًا: شعب الفضائل وأثرها في تهذيب النفس عند الإيجي والشراح:

وضع الإيجي منظومة متكاملة للأخلاق الإنسانية(٣) هي: الحكمة، الشجاعة، العفة، والعدالة. موضحاً أن كل فضيلة تتفرع إلى شعب عملية تساعد على تهذيب النفس، وضبط قواها الثلاث: الناطقة، والغضبية، والشهوية. وأما العدالة فهي فضيلة جامعة تُحقق التوازن بين هذه القوى، ولا شك أن هذا

(١) ينظر: الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، للإمام البركوي (ت٩٨١هـ): صـ٣٣٩.
(٢) الجمهورية، أفلاطون، ترجمة: حنا خباز: صـ١١٢ بتصرف، ويراجع: تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم: صـ١١٨، ١١٩، والأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوي: ص١٦٥ وما بعدها.
(٣) المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين الإيجي(ت٧٥٦هـ): صـ١٢ – ١٩.

التقسيم يُعبر عن الخلفية الفكرية، والبراعة الفلسفية، والأصالة الخلقية الدقيقة التي تهدف إلى بناء شخصية متكاملة تجمع بين صفاء الفكر، وقوة الإرادة، واعتدال الشهوة، وتوازن التعامل مع الآخرين.

وسأقوم في هذه النقطة بذكر أهم الملامح التفسيرية التي ساقها الشراح لفهم شعب الفضائل عند عضد الدين الإيجي، ومنها ما يلي: –

١- عَددَ الإمام الإيجي لكل فضيلة من الفضائل الثلاث شعبًا، أي: آثارًا كثيرة منشؤها تلك الفضائل، ثم ذكر من شعب كل واحدة ما هو الأظهر والأشهر؛ حيث إن أنواعها كثيرة لا تكاد تحصى(١).

٢- قدَّم الشراح وخاصة **منجم باشا** تحليلًا فلسفيًا عميقًا لفضيلة الحكمة باعتبارها الأساس الذي تُبنى عليه بقية الفضائل، وبيّن أن لهذه الفضيلة سبع شعب(٢) تشكّل معًا كمال القوة العاقلة في الإنسان، **وهذه الشعب** هي: صفاء الذهن، وجودة الفهم، والذكاء، وحسن التصوّر، وسهولة التعلّم، والحفظ، والذِّكر، وقد ربط الإيجي بين هذه الشعب السبع بطريقة مُحكمة، بحيث يؤدّي كمالها إلى ترقية النفس، ويجعل الحكمة ملكة شاملة تنظّم عمليات الإدراك والتفكير والتذكر، وتفتح الطريق إلى كمال النفس العقلي والروحي، وتقود الإنسان إلى السلوك القويم والمعرفة اليقينية(٣).

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني(ت٧٨٦هـ): صـ٥٥، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٦٥، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٩١.

(٢) لمعرفة وجه حصر هذه الشعب في سبع. ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ.٧٣.

(٣) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٢٩١ – ٢٩٩، ٢٣٤.

٣- تناول الشراح فضيلة الشجاعة وما يتفرع عنها من شعب، بالتفصيل الدقيق للمصطلحات اللغوية والفلسفية المرتبطة بهذه الشعب، ولقد ظهر من خلال هذه الشروح أن فضيلة الشجاعة ملكة نفسانية راسخة تضبط الانفعالات، وتجعلها ثابتة أمام المخاوف، ومن ثم فصاحبها مندفع نحو فعل الخير، وتتفرع فضيلة الشجاعة إلى أحد عشر شعبة من الأخلاق العملية التي تظهر في سلوك الإنسان مع نفسه والآخرين، **وهذه الشعب هي:** كِبَرُ النفس، عِظَمُ الهمّة، الصَّبر، النجدة، الحِلم، السكون، التواضع، الشَّهامة، الاحتمال، الحميَّةُ، الرِّقةُ، ولقد كان منجم باشا(١) أكثر تفصيلًا لشعب هذه الفضيلة، أما بقية الشراح وعلى رأسهم شمس الدين الكرماني(٢) فقد رأو أن أكثر هذه الشعب غني عن الشرح، ومن ثم جاء شرحهم مختصراً، وقد زاد طاش كبرى زاده شعبة أخرى للشجاعة هي: العفو وترك الانتقام(٣).

٤- العفة أحد الفضائل الأساسية في تهذيب النفس، ولها أحد عشر شعبة

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٠٠ – ٣٠٧.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ٥٦، ٥٧، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٧٣، ٧٥، ٧٧، ٧٩، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٥٧، ٥٩، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ٦٧، ٦٩، ٧١، ٧٣.

(٣) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ٧٩. ولقد ذكر الخادمي للشجاعة اثنتا عشرة شعبة ومنها العفو. ينظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لأبي سعيد الخادمى الحنفي (ت ١١٥٦هـ)، جـ٣صـ ١٥١، ١٥٢.

أساسية بَيَّن الشراح معانيها وضوابطها الأخلاقية والعقلية، وكل شعبة تمثل بعداً سلوكياً لضبط النفس، وتوجيهها نحو الكمال، **وهذه الشعب هي:** الحياء، والصبر، والدَّعة، والنزاهة، والقناعة، والوقار، والرفق، وحسن السَّمت، والورع، والانتظام، والسخاء، وتحت السخاء ستة أنواع: الكرم، والإيثار، والنُّبل، والمواساة، والسَّماحة، والمسامحة(١).

وفيما يلي محاولة مختصرة لإلقاء الضوء على أهم الجوانب التي رَكَّز عليها الشراح فيما يتعلق بفضيلة العفة وشعبها، ومنها: –

أ– عند الحديث عن شعبة الحياء وهي: منع النفس عن فعل القبيح فإن الشرَّاح أكدوا على الجدل الكلامي في تحديد معيار الحسن والقبح هل هما شرعيان أم عقليان(٢)، مما يعبر عن الصلة القوية بين علمي الأخلاق

---

(١) ينظر: المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين الإيجي(ت٧٥٦هـ): صـ١٥ – ١٧.

(٢) يقال الحسن والقبح على ثلاثة معانٍ اتفق المتكلمون من المعتزلة وأهل السنة على الأول والثاني منهما، واختلفوا حول المعنى الثالث، **أما الاتفاق** فقد وقع على أن العقل يمكن له أن يدرك بمفرده الحسن والقبح بمعنى: الكمال أو النقص، أو بمعنى: الموافقة للغرض أو المخالفة له. **يقول شمس الدين السمرقندي (ت٦٩٠هـ):** «الحسن والقبح يطلق على ثلاثة معان: الأول: كون الشيء ملائماً للطبع ومنافراً، كالفرح واللذة والغم والألم، والثاني: كون الشيء صفة كمال أو صفة نقص، كالعلم والجهل، والثالث: كون الشيء متعلق المدح عاجلًا والثواب آجلًا، ومتعلق الذم عاجلاً والعقاب آجلًا، **ولا خلاف** بين العقلاء أن الحسن والقبح بالتفسيرين الأولين عقليان». المعارف في شرح الصحائف، لشمس الدين السمرقندي، تحقيق: د. نظير محمد محمد النظير عياد، د. عبد الله محمد عبد الله إسماعيل: ج٢ ص١٤٤٦، ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة (١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م)، ولقد **وقع النزاع** في المعنى الثالث: كما ذكر **السعد التفتازاني (ت٧٩٢هـ)** =

في قوله: «النزاع في الحسن والقبح عند الله تعالى بمعنى: استحقاق فاعله في حكم الله تعالى المدح أو الذم عاجلًا، والثواب أو العقاب آجلًا». شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين: جـ٣ صـ٢٠٨، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١١م)، **وأما المعنى المتنازع** عليه بين المعتزلة وأهل السنة، فإن **المعتزلة** قد انتهوا غلى إلى أنهما عقليان، وطريق معرفتهما يكون بالعقل، وأن السمع يكشف للعقل ما يعجز عن إدراكه، وما يكون فوق طاقته. يقول القاضي عبد الجبار (ت٤١٥هـ): «إن العلم بأصول المقبحات والواجبات والمحسنات ضروري، وهو من جملة كمال العقل، ولو لم يكن ذلك معلوم بالعقل لصار غير معلوم أبدا؛ لأن النظر والاستدلال لا يتأتى إلا ممن هو كامل العقل». شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان: صـ٣١٠، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م). **وأما الأشاعرة** فقد ذهبوا إلى أنه متوقف على أمر الشارع ونهيه. **يقول إمام الحرمين الجويني (ت٤٧٨هـ):** «العقل لا يدل على حُسن شيء ولا قُبحه في حكم التكليف، وإنما يتلقى التحسين والتقبيح من موارد الشرع ومُوجب السمع». الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، لحقيق: زكريا عميرات: صـ١٠٧، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م)، **وأما الماتريدية** فإن مذهبهم في الحسن والقبح بالمعنى المتنازع عليه يمكن تلخيصه في ثلاثة مذاهب **كما جاء عند مستجي زاده (ت١١٥٠هـ)** في نهاية مخطوطة أصول الدين لأبي اليسر البزدوي (ت٤٨٢هـ) أن الماتريدية على ثلاثة أقوال في هذا الأمر؛ حيث يقول: «والحاصل: أن الحنفية ثلاث فرق: فرقة تقول: بالحسن والقبح العقليين، ويكون العقل حاكماً في الوجوب والتحريم على العباد مثل: صاحب الميزان وأضرابه وهم كثيرون، وفرقة تقول: بالحسن والقبح العقليين، ولا يقولون بكون العقل حاكماً على الناس مثل: الصدر الشريعة، والصابوني، وعبد الله النسفي صاحب العمدة، والمولى الفناري، وكلهم من متأخري الحنفية، وفرقة: لا تقول بالحسن و القبح العقليين مثل: شمس الأئمة السرخسي وأضرابه، وصاحب هذا الكتاب – يعني: البزدوي – من هذه الفرقة الثالثة».

=

والكلام.

ب- ركّز الإيجي والشراح على أهمية الاعتدال والتوسط في جميع الشعب، وذم الإفراط والتفريط.

جـ- التنوع في تقسيم السخاء إلى ست شعب فرعية يُبرز الأهمية الأخلاقية والاجتماعية لهذه الشعبة.

د- ذكر الشراح أنه يمكن زيادة شعبة «المسالمة» فتكون شعب العفة اثنتي عشر شعبة، إلا أن عضد الدين الإيجي لم يعدها شعبة مستقلة؛ لدخولها تحت شعبة الرفق(١).

٥- أما بالنسبة للعدالة فهي الفضيلة الجامعة للفضائل الثلاث: «الحكمة، الشجاعة، العفة» وهي أمَّ الفضائل؛ لأنها الأساس الذي تنبثق عنه الأخلاق السليمة، لان الاعتدال هو جوهر سائر الشعب، ولذلك وُصفت العدالة بأنها أصل الفضائل وأكملها، ولها أربع عشرة شعبة، وهي: الصداقة، والألفة، والوفاء، والتودد، والمكافأة، وحسن الشركة، وحسن القضاء، وصلة الرحم، والشفقة، والإصلاح، والتوكل، والتسليم،

مخطوطة أصول الدين، لأبي اليسر البزدوي: ص ١٣٠، ١٣١، مكتبة أسعد أفندي، تركيا، تحت رقم: ١٢٦٢، ويراجع: المسالك في الخلافيات بين المتكلمين والحكماء، لعبد الله بن موسى بن عثمان أفندي المعروف بمستجي زاده (ت١١٥٠هـ)، تحقيق: د. سيد باغجوان: صـ١١٣-١٢٠، ط١، دار صادر، بيروت (١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م).

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ٥٧، ٥٨، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ٨١ – ٩٣، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ٦١ – ٦٧، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٠٧ – ٣١٦، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ٧٣ – ٨٣.

والرضا، والعبادة، وهذه الشعب تتناغم وتنسجم لتربط بين الجانب الفردي (كالرضا والتوكل) والجانب الاجتماعي (كصلة الرحم، والإصلاح، وحسن الشركة، وحسن القضاء) والجانب الإلهي (كالتسليم والعبادة) [١].

٦- ذكر منجم باشا اختلاف علماء الأخلاق في معنى العدالة، فيمكن أن تكون اسماً لملكة بسيطة حاصلة من امتزاج سائر الفضائل كالمزاج، وقد قال بهذا حجة الإسلام الغزالي[٢] عند تعريفه لفضيلة العدالة، ويجوز أن تكون اسماً لملكة حاصلة من تركب سائر الفضائل، فتكون مركبة منها[٣]، وهناك فريق ثالث جاءت عبارته مطلقة ليس فيها ما يدل على البساطة أو التركيب، كابن

(١) ينظر: المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين الإيجي(ت٧٥٦هـ): صـ١٧ – ١٩.

(٢) **عرَّف أبو حامد الغزالي** العدالة بأنها: «حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة وتضبطهما في الاسترسال والانقباض على حسب مقتضاها». إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: جـ٣صـ ٥٤، ثم ذكر منجم باشا عقيب هذا التعريف للعدالة بأنها حينئذ ملكة بسيطة مستلزمة للملكات الثلث، أي: الحكمة، والشجاعة، والعفة. ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣١٧ –.

(٣) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣١٦.

مسكويه[١]، والطوسي[٢]، وعضد الدين الإيجي أيضاً[٣].

تنبيه مهم

نبَّه الكازروني على ضرورة التمييز بين الفضائل والرذائل، فربما يشتبه بعض الفضائل ببعض الرذائل، مثلما يحدث في فضيلة العفة؛ حيث نرى أكثر زهاد عصرنا جعلوا زهدهم حيلة لصيد العوام، ويتوسلون به إلى الأغراض الدينية والدنيوية، وقِس على ذلك سائر الفضائل من الحكمة والشجاعة والعدالة[٤].

والمتأمل في رؤية الإيجي والشراح يجد أنها تؤكد على أن الفضيلة نسق متكامل ومترابط لا يتعارض أو يتناقض؛ فالحكمة بلا شجاعة ضعف، والشجاعة بلا عفة تهور، والعدالة لا تتحقق إلا باجتماع الثلاثة معاً، **والغاية النهائية** هي بناء شخصية تحقق السعادة الفردية والتكافل الاجتماعي، وقبل ذلك تُرضي الله تعالى.

---

(١) **عرَّف ابن مسكويه العدالة بأنها:** «فضيلة للنفس تحدث لها من اجتماع هذه الفضائل الثلاث التي عددناها، وذلك عند مسالمة هذه القوى بعضها للبعض واستسلامها للقوة المميزة حتى لا تتغالب ولا تتحرك لنحو مطلوباتها على سوم طبائعها، ويحدث للإنسان بها سمة يختار بها ابداً الإنصاف من نفسه على نفسه أولا، ثم الإنصاف والانتصاف من غيره وله». تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ): صـ٢٤، ثم ذكر منجم باشا عقيب هذا التعريف وليس فيه ما يدل على البساطة أو التركيب صريحاً. ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣١٦.

(٢) ينظر: الأخلاق الناصرية، لنصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ): صـ ١٦٧.

(٣) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ٦٠ – ٦٢، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى (ت ٩٦٨هـ): صـ٩٥ – ١٠٥، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣١٧ – ٣٢٥، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ٨٣ – ٩٣.

(٤) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٧٧ – ٨١.

المبحث الثاني: الجانب العملي في تهذيب الأخلاق عند الإيجي والشراح.

تقديم:

يُعَدّ تهذيب الأخلاق وتوجيهها نحو الكمال من أسمى الغايات التي سعى إليها المفكرون عامة وعلماء الأخلاق خاصة؛ فعليها مدار سعادة الإنسان في الأولى والآخرة؛ والأخلاق ليست مجرد بحث نظري أو فلسفة منفصلة عن الواقع العملي، بل هي ملكات راسخة تُوجِّه سلوك الإنسان وتحدد مسار حياته.

وإذا كانت الفضائل هي أساس الفلاح والنجاح، فإن الرذائل بمنزلة الأمراض التي تُصيب النفس وتوهنها وتعوق طريقها إلى الرقي الأخلاقي، ومن ثم فقد اهتم فلاسفة الأخلاق بطرق حفظ الفضائل واكتسابها، ومعالجة الرذائل وإزالتها، حتى تبقى النفوس في مقام الاعتدال بعيداً عن الغلو والتقصير، وهذه المعالجة تشبه ما يحدث في علم الطب؛ فكما تحتاج الصحة إلى عناية خاصة، كذلك الفضائل تحتاج إلى رعاية ومجاهدة؛ فالأطباء يحرصون على حفظ الصحة واسترجاعها بإزالة أسباب المرض، وكذلك تهذيب الأخلاق يقوم على حفظ الفضائل، وإزالة الرذائل الموجودة، واكتساب الفضائل غير الموجودة.

ولقد كان عضد الدين الإيجي أحد الذين اهتموا بدراسة هذه القضية؛ حيث قام برسم معالم الطريق لحفظ الفضائل، ومعالجة الرذائل، ثم جاء الشراح من بعده بإيضاح هذه الرؤية، وشرح آليات الحفظ والمعالجة، ويمكن أن نقف على ذلك من خلال محورين رئيسين:

الأول: طرق حفظ الفضائل واكتسابها.

والثاني: طرق اجتناب الرذائل وإزالتها.

أولا: طرق حفظ الفضائل واكتسابها.

ذكر عضد الدين الإيجي الكيفية التي ينبغي أن يكون عليها الإنسان إذا حصل له فضيلة طبيعية أو مكتسبة ليحافظ عليها من الزوال، وأكد أن بقاء الفضائل مشروط بملازمة الأخيار، والابتعاد عن الأشرار، وتغذية النفس بالمعارف والرياضات الفكرية، ولابد من الاستفادة من الصديق الناصح الأمين، والعدو الكاشف للعيوب، مع الأخذ في الاعتبار أن النفس قد يحدث لها فتور عن الالتزام بالفضائل، وحينئذٍ لابد لها من رياضات صعبة حتى تعود إلى الطريق الصحيح.

يقول عضد الدين الإيجي: «من حصل له فضيلة بكسب أو طبع فليستحفظها بملازمة أهلها من الأخيار، وعدم صحبة الأشرار، وإياه والاسترسال في الملاهي والمزاح والمراء، وليُرِضْ نفسه بوظائف علمية وفكرية، فليذكر جلالته ودوامه وصفاءه، وحقارة الدنيا وزوالها وتكدرها، ويختار من أصدقاء الصدق من ينبهه على عيبه، ويتفحص قول أعدائه، ويعلم منه عيوبه فيتركها، ولا يقنع وينظر في معايب الناس فيجتنبها، وإن رأى فتوراً طوعها بالرياضات الصعبة» (١).

وقد لخّص الشُرَّاح أسباب حفظ الفضيلة في طريقين:

الأول: الطريق الإجمالي: وحفظ الفضيلة بناء على هذا الطريق يشبه حفظ صحة المزاج الجسدي؛ فكما تُصان الصحة بالمواظبة على ما يلائمها من الأمور التي أجمع عليها أهل الطب، كذلك تُصان الفضيلة بالمواظبة على ما يلائم النفس من أخلاق وسلوكيات.

وقد بين طاش كبرى زاده هذا الطريق فقال: «فكما يجب على من يريد

---

(١) المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين الإيجي (ت٧٥٦هـ): صـ٢١، ٢٢.

صحة المزاج استعمال الملاءمات والاجتناب عن المنافرات كما تقرر عند أطباء الأبدان، كذلك يجب على من يريد حفظ الفضائل النفسانية مباشرة ما يوافقها، والاحتراز عما ينافيها، كما نطق به أطباء النفوس من أصحاب العرفان، والحكماء البالغين درجة الإتقان» (١).

الثاني: الطريق التفصيلي، ويكون بأربعة أنواع رئيسة تتلخص فيما يلي: –

١- ملازمة أهلها من الأخيار، وعدم صحبة الأشرار، وإياه والاسترسال في الملاهي والمزاح والمراء

ولقد بيَّن الكرماني ما **قصده الإيجي** من هذا النوع، وهو: ملازمة ذوي الفضائل ومجانبة الأشرار، واولى الرذائل؛ فان ملازمة أولئك سبب لرسوخ الفضيلة في النفس، ولابد لصاحب الاخلاق الفاضلة من اجتناب ما يؤدى الى زوالها؛ فان ارخاء النفس في الملاهي أو المزاح أو المراء يصير سبباً لزوال تلك الاخلاق عنها، وحصول الملكات الردية فيها، فهناك امر، ونهي، وتحذير، فأمر أولًا بملازمة الأخيار، ونهى ثانياً عن صحبة الأشرار، وحذَّر ثالثًا مما يفضي إلى الإخلال بالفضيلة(٢).

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١٠٧، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ٦٢، ٦٣، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٣١، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ٩٧.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٣، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٣١، والحديقة الندية شرح =

وقد **سبق ابن مسكويه** إلى تقرير هذا المعنى؛ إذ أنه كان يرى أنَّ معاشرةَ أهل الفضل والحكمة من أهم وسائل تهذيب النفس؛ لأنَّ الطباع تُكتسب بالمخالطة، وتُشبِه النفسُ من تصحب(١).

٢- وليُرِضْ نفسه بوظائف علمية وفكرية، فليذكر جلالته ودوامه وصفاءه، وحقارة الدنيا وزوالها وتكدرها.

أكد الشُرَّاح في هذا النوع من الحفظ على أهمية حفظ فضيلة الحكمة، فلابد لصاحبها من رياضة الفكر، وتزكية النفس بالعلم مع الزهد في الدنيا؛ لأن العلم أصل الفضائل، وهو الباقي الدائم للإنسان في دنياه وأخراه، بخلاف الدنيا الفانية الزائلة، فينبغي الحذر من الانشغال بها وزينتها؛ إذ أنها تمنع النفس من الاشتغال بالعلم؛ لذا كان من الواجب تذكير طالب الحكمة بما يعينه على تجاوز هذه العقبة(٢).

ولقد لفت الكرماني الأنظار إلى أن الإيجي ذكر ثلاثة أمور في العلم مع

الطريقة المحمدية، لعبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ): جـ١صـ٦٠٤، مكتبة الحقيقة، تركيا (١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م)، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ٩٧، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٨٣، ٨٥.

(١) يراجع: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ): صـ١٧٥، ١٧٦.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١١١، ١١٣، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٨٥، ٨٧. ٦٣، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٣٤، ٣٣٥، والحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، لعبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ): جـ١صـ٦٠٤، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ٩٩.

أضدادها في الدنيا؛ ليُعرِض الطالب عن الدنيا، ويُقبل على العلم، وهذه الأمور الثلاثة بأضدادها هي: جلالة العلم مع حقارة الدنيا، ودوام أثر العلم مع زوال الدنيا، وصفاء العلم مع تكدر الدنيا(١).

٣- **أن يختار من أصدقاء الصدق من ينبهه على عيبه، ويتفحص قول أعدائه، ويعلم منه عيوبه فيتركها، وينظر في معايب الناس فيجتنبها.**

فهذا منهج دقيق في المحافظة على الأخلاق وتهذيب النفس، فلا يكفي الإنسان نصيحة الصديق، بل عليه اغتنام نقد الأعداء، وملاحظة عيوب الآخرين؛ فتلك وسيلة لكشف العيوب، وتُعين المرء على معرفة نقائصه ومعالجتها.

بقول شمس الدين الكرماني: «اختيار من ينبهه على عيبه من الاصدقاء ليشتغل بالمعالجة بعد التنبيه عليها قبل ان تصير عسير الازالة بعد الرسوخ في النفس، وينبغي ان لا يقتصر على ذلك، بل يتفحص قول أعدائه في حق نصيبه حتى يعلم عيوبه فيتركها»(٢).

٤- **إن رأى فتوراً طوعها بالرياضات الصعبة.**

فهذا تطويع للنفس بالرياضات الشاقة والمجاهدات؛ لتصفيتها من كل ما يكدرها، **وقد لخَّص الكازروني هذا الأمر فقال:** «وإن رأى فتوراً في النفس في مباشرة تلك الأسباب طوَّعها بالرياضات الصعبة، والتزام مشاق الأعمال الصالحة فوق المعهود، وبالجملة يزاول أموراً لا يكون للطبع فيها مجال

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٣.

(٢) ا ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٣، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٣٦، ٣٣٧، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لأبي سعيد الخادمى الحنفي (ت ١١٥٦هـ)، جـ٢صـ٣٧.

لإهمال»[1].

والحق أن هذه الرؤية تدل على أن الإيجي والشراح رغم خلفيتهم الكلامية إلا أنهم قد اقتربوا في منهجهم العملي من الاتجاه الصوفي عند حديثهم عن الرياضات الصعبة والمجاهدات، وهي عند الصوفية سبيل لتطهير النفس من علائق الدنيا. [2]

ويبدو أثر النزعة الصوفية في علاج الإيجي والشراح للأمراض النفسانية؛ إذ أنهم جعلوا آخر مراتب العلاج بالرياضات الشاقة، وهو ما يوافق ما قرره الصوفية من أن المجاهدة هي سبيل الصفاء الروحي.

فهذه الرؤية تعبر عن براعة المنهج الأخلاقي ودقته عند الإيجي ومن معه من الشراح في حفظ الفضائل واكتسابها، ويمكن أن نسجل جانباً من ذلك فيما يلي:-

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٨٩، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١١٥، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٣٧، ٣٣٨، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٠١.

(٢) ينظر: رياضة النفس، لمحمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ)، تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين: صـ٧٥، ط٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٦هـ)، وقوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦ هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: جـ٢صـ٢٧٩، ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م)، والرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف: جـ٢صـ٤٤٨، الناشر: دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ)

١- جمع الإمام الإيجي في منهجه في تهذيب النفس بين البناء والمحافظة؛ حيث إنه أكد على ضرورة التزكية بالعلم والرياضة والمجاهدة، مع المحافظة على هذا البناء بالملازمة، والابتعاد.

٢- التركيز على النقد الذاتي فهو منهج نافع في إصلاح النفس، ومن ثم يدفعها للرقي الأخلاقي.

٣- التأكيد على أن حفظ الفضائل ليس حالة ثابتة، بل هو سير دائم يتطلب المنافسة في فعل الخير.

ثانيًا: طرق اجتناب الرذائل وإزالتها.

قبل الحديث عن طرق اجتناب الرذائل وإزالتها تجدر الإشارة إلى العلة في وضع الإيجي علاج فقدان الفضائل أو غلبة الرذائل بعد كيفية اكتساب الفضائل والمحافظة عليها.

والحق أن الشراح قد اعتنوا بهذا اللمحة الدقيقة، وذكروا أن ذلك يرجع إلى عدة أسباب يمكن إجمالها فيما يلي: –

أ- **أن ذلك قياسًا على ما يحدث في علم الطب؛** حيث يبدأ الأطباء في خطتهم العلاجية بحفظ الصحة، ثم علاج المرض، فكذا الطب الروحاني يبدأ بحفظ الفضيلة، ثم معالجة الرذيلة.

يقول شمس الدين الكرماني: «بعد الفراغ عن بيان كيفية محافظة الاخلاق الفاضلة شرع في بيان كيفية إزالة الأمراض الحاصلة. اعلم أن المعالجة الكلية عند أطباء الأبدان باستعمال أربعة أشياء: الغذاء، والدواء، والسُّم، والكى أو القطع، فكذلك عند أطباء النفوس»[١].

وقد وضع الإيجي خطة علاجية تقوم على التدرج والترقي في مراتب

(١) ا ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٤.

العلاج الأربع جرياً على طريقة أطباء الأجسام، ويمكن اختصار ما قاله الشراح فيما يلي: –

١- العلاج بالأخف وهو الغذاء، وهذا يرادف ارتكاب الفضيلة المقابلة للرذيلة كالسخاء لعلاج البخل.

٢- العلاج بالخفيف، وهو الدواء، وهذا يساوي عند علماء الأخلاق تعنيف النفس بالتوبيخ، وبيان سوء العاقبة، وإيقاظ الضمير.

٣- العلاج بالثقيل وهو الدواء السَّام، ويشبه عند علماء الاخلاق ارتكاب الرذيلة المقابلة مؤقتاً لكسر رسوخ الرذيلة الأولى، مثل الإسراف لكسر البخل، مع الحذر من الإفراط.

٤- العلاج باليد كالكيّ والقطع، وهذا كالرياضات الشاقة، والمجاهدات الروحانية والجسمانية، مثل الصوم، والسياحة، وحمل المشاق؛ لإزالة الرذائل المستحكمة(١).

وما قرره الإيجي قد ذكره علماء الأخلاق من قبل؛ فالإيجي سار على نهج الغزالي(٢)، وابن مسكويه(٣)، في تشبيه معالجة الرذائل بعلاج الأمراض الجسدية' إلا أنه قد طور ذلك الأثر، ووضعه فيما يشبه الخطة العلاجية.

والحق أن هذه الخطة العلاجية عند الإيجي والشراح تكشف عن منهجية

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٨٩، ٩١، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ): صـ ١١٧، ١١٩، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٣٨ – ٣٤٣، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٠١ – ١٠٥.

(٢) يراجع: إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: جـ٣صـ ٦٣، ٣٦٨.

(٣) يراجع: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ): صـ١٧٦.

طبية أخلاقية متكاملة، وقد ظهر ذلك جلياً في تقريرهم أن النفس في أصلها مهيأة للفضيلة بفطرتها السليمة، ولكنها تمرض بالرذائل كما تمرض الأجساد بالأسقام والأوجاع؛ لذا قام العلاج الأخلاقي على مبدأ التدرج والترقي؛ فيبدأ بالأسهل والألطف، ثم يتدرج نحو الأشد، منعاً من صدمة النفس أو زيادة فسادها.

وتظهر براعة الإيجي في أنه جعل العلاج بالرياضات الشاقة هو الملاذ الأخير حين تعجز كل الوسائل العلاجية، فيكون بمنزلة العمليات الجراحية في الطب، يهدف إلى اقتلاع الرذيلة المستحكمة عبر مشاق العبادات والرياضات الروحية والجسدية، مما يشير إلى منهج دقيق في الجمع بين التدرج الطبي، والعمق الصوفي في معالجة أمراض النفس، ولا شك أن هذا المنهج يكشف عن فهم الإيجي والشراح لطبيعة النفس البشرية فهماً عميقاً، ومحاولة الوصول بها إلى أسمى مراتب الصحة والكمال.

ب-**أن ذلك لتتقرر تلك الكليات باستعمال الجزئيات من المعالجات، ومن ثم نعلم طريق مقايسة الباقي عليها.**

يقول طاش كبرى زاده: «اعلم أن المصنف لما فرغ من ذكر أجناس الأمراض، وقانون المعالجات على الوجه الكلي شرع في ذكر أردأ الأمراض وأفسدها من أنواع أجناس الأمراض، وإن كان في ذكر ما سبق كفاية لمن اعتبر إلا أنه أوردها لتتقرر تلك الكليات في النفوس، ويعلم طريق مقايسة البواقي عليها»[1].

وقد أكد منجم باشا على ذلك وهو أن المصنف بعد ذكره طريق المعالجة إجمالاً ذكره على نحوٍ من التفصيل، فقال: «لما كان المصنف قد أراد ألا يفوت

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١١٩، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٩١.

عن الطالب شيء من مهمات هذا الفن، وأصوله النظرية، والعملية، الكلية والجزئية، وذكر طرق محافظة الفضائل الموجودة، وأشار في ضمنها إلى كيفية المعالجات الكلية إجمالًا أراد أن ينبه على بعض الأمراض الجزئية مع معالجتها ليقاس عليها ما عداها من الأمراض الجزئية ومعالجتها»(١).

ولقد رتَّب الإيجي الأمراض الجزئية التي ذكرها ترتيبًا فلسفيًا مرتبًا؛ إذ أن الأمراض النفسانية(٢) باعتبار منشئها تنقسم إلى ثلاثة أصناف؛ لأنها إما أن تحصل من القوة النظرية، وإما من القوة الدفعية، وإما من القوة الجذبية.

١- الأمراض الجزئية الحاصلة من القوة النظرية، وهي ثلاثة أمراض:

- **الحيرة:** «وهي من الإفراط في القوة الناطقة، وغالبًا سببها تعارض الادلة، أي: قيام الأدلة المتعارضة على مطلب واحد بعينه، **وعلاجها:** ممارسة القوانين العقلية، كالمنطق وغيره ليطلع على شرط قد أهمله او

(١) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٤٣، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٤.

(٢) الأمراض النفسانية شأنها شأن الأمراض الجسمانية، منها ما هو أولي أصلي، ومنها ما هو مُولّد تابع؛ فالأولي هو المرض الجذري، والمُولّد هو العرض الناتج عنه، وكما في الطب البدني لا يعالج الأطباء العرض كالحُمى إلا تبعًا لعلاج سببه، كالورم الحار، فكذلك في الطب الروحي: لا يُجدي علاج الأعراض دون معالجة أصل المرض؛ فالأعراض تزول بزوال أسبابها، إلا إن كان العرض شديداً يمنع تقبل العلاج، فيُخفّف حينها لتهيئة النفس للعلاج الحقيقي. ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٩٩، ٤٠٠.

اعتبره ولم يكن معتبراً في أحد الدليلين، فإن التعارض بحسب ذلك في الجملة ينبغي أن يتتبع العقليات حتى يعرف المغالطة»[١].

- **الجهل البسيط:** «وهو عدم العلم عما من شأنه أن يكون عالماً[٢]، وهو من جنس التفريط، وفي بدايته غير مذموم؛ لأنه شرط التعليم، بل دوامه والرضا به مرض مهلك، **وسببه:** حب الشهوات الحسية، والركون إلى اللذات البهيمية، واصحابه كالأنعام؛ لان العلم هو المميز بينها وبين الانسان، فلما ارتفع عنهم انخرطوا في سلكها، بل هم اضل وأدني منزلة؛ لتوجهها نحو كمالاتها الممكنة لها، وقصورهم عن تحصيل ما يمكن لهم من العلم والتمييز؛ فان الانعام تُبصر منافعها ومضارها بخلاف الجاهل العاجز عن معرفة الفضائل والرذائل، المنحرف عن الكمال الذي هو من خصائص نوعه، **ويعالج:** بملازمة العلماء ليظهر

(١) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٤ – ٦٦ باختصار، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١١٩ – ١٢٥.

(٢) ينظر: شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي، تأليف السيد الشريف علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: محمود عمر الدمياطي: جـ٥صـ٢٨، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٢م)، وبريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لأبي سعيد الخادمى الحنفي (ت ١١٥٦هـ)، جـ٢صـ ٤٩، والحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، لعبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ): جـ٢صـ٢٩٧ – ٣٠١.

له نقصانه في مجالسهم عند محاورتهم؛ لمَّا يرى نفسه عاجزاً عن النطق كالأنعام عسى الله أن يهديه، فيشتغل بإزالة هذا المرض»[1].

- **الجهل المركب:** «وهو اعتقاد جازم غير مطابق للواقع سواء كان مستنداً الى شبهة أو تقليد»[2]، وصاحب الجهل المركب قَلَّما يُرجى شفاؤه، فهذا مرض قد عجز أطباء النفوس والأرواح عن علاجه؛ لأنه لم ينتبه لجهله، ومن ثم لم يتشوق لطلب العلم، وإن قبل العلاج فمع العسر، ويكون بملازمة الرياضات كالهندسة والحساب، فان مقدماتها يقينية قلما يقع الغلط فيها ليُطعم لذة اليقين، ويطلع على العقائد المختلفة الفاسدة الغير

(١) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٤٣ – ٣٥٣ بتصرف، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٩١ – ٩٧، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٠٥ – ١١١.

(٢) شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي، تأليف السيد الشريف علي الجرجاني (ت٨١٦هـ): جـ٥ صـ٢٨ باختصار، وينظر: بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لمحمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان، أبو سعيد الخادمى الحنفي (ت ١١٥٦هـ)، جـ٢صـ ٤٩، والحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية، لعبد الغني النابلسي (ت١١٤٣هـ): جـ٢صـ٣٠٢ وما بعدها، والآيات البينات، للإمام أحمد بن قاسم العبَّادي الشافعي (ت٩٩٤هـ) على شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٨١هـ)، تحقيق: زكريا عميرات: جـ١صـ ٢٨٨، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٢م).

المطابقة، ثم يتنبه لخطئه بالتدريج مقدمة مقدمة حتى يقف على جهله لعله يشتغل بعد ذلك بعلاجه(١).

٢- **الأمراض الجزئية الحاصلة من القوة الدفعية، وهي ثلاثة أمراض أيضًا:**

- **الغضب:** وينشأ من الإفراط، وقد قيل في تعريفه: «إنه شدة هيجان النفس شوقًا إلى طلب الانتقام، وعلاجه: يكون بالنظر إلى مبدئه الاختياري دون منتهاه الاضطراري، ويكون بنفي أسبابه، وهي كثيرة جداً أشهرها وأعرفها عشرة، وهي: **العُجب والتكبّر:** وغالباً هما أصل الغضب عند الناس، وعلاجهما: أن يتفكر صاحبهما في مبادئ بنيته، وأطوار خلقته، ويُلاحظ احتياجه إلى بني نوعه، بل إلى الحيوان والجماد، ثم **الافتخار** بالنسب، والمال، والجاه، وهو أخف وأبعد عن العقل، **وعلاجه:** أن ينظر إلى قلة فائدته وتركه ومعرفته، ويحصل بالسفر الى حيث لا يعرف نفسه ولا ماله ولا أصله، ثم **المراء واللجاج:** وهما كثرة الخصام، وهما قاطعان لنظام العالم، ويفضيان إلى الانهدام، **وعلاجهما:** تركهما بالتعنيف وارتكاب المقابل، ثم **المزاح:** الخارج عن الاعتدال ثم **الاستهزاء:** وهو استخفاف نفوس الناس والسخرية بهم، وهما يسلبان الوقار ويجلبان العداوة، ومن عجز عن الاقتصاد فيهما فليتركهما، ثم

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٤ – ٦٦، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١١٩ – ١٢٥، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٤٣ – ٣٥٣، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٩١ – ٩٧، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٠٥ – ١١١.

الغدر والضيم: فالغدر ظلم الغير في المال والجاه والعرض، و**الضيم:** ظلم لقصد الانتقام، وهما لمتاع الدنيا فليبادر العاقل بالخلاص منهما، ثم **طلب الأشياء النفيسة من الجواهر وغيرها،** وعلى العاقل أن يعلم أنها مع حقارتها يكثر حولها العداء والكيد، وأنها لو بقيت له لم يبق هو لها»[1].

هذا بالنسبة لقطع أسباب الغضب قبل الاهتياج، وأما بعده فعلاجه: صعب؛ لستر العقل بدخانه المظلم؛ حيث إن الغضبان حالة الغضب لا يقبل العلاج، وربما ينفع في تسكين نار غضبه تغيير الهيئة كتبديل الملبوس بأطيب او أخف منه وشرب الماء البارد والنوم، والغضب قد يحصل من حبس الشهوة؛ لأن الاوعية إذا صارت ممتلئة من المني، وأخذ الي الدماغ يتولد منه العشق والجنون، وهما يولدان الغضب[2].

- **الجبن:** وينشأ من التفريط، وهو الإحجام عما يجب عليه الإقدام، فهو مرض في غاية الرداءة، وأعراضه الجزئية عشرة والصعبة ثلاثة، **أما الصعبة فهي:** الذل، والاختلال، وانهتاك الحرمة، **واما الجزئية فهي:** مهانة النفس، وسوء العيش، وطمع كل أحد في ماله، وقلة الثبات في الأمور، والكسل فيها، وتمكن الظلم في الظلم عليه، والرضا بكل فضيحة واقعة في النفس والاهل، واستماع الفواحش مع تحملها من القذف

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٥ – ٦٨بتصرف، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١٢٥-١٤٣.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٥٣ – ٣٧١، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ٩٧ – ١١١، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١١١ – ١٢١.

والشتم، وارتكاب ما يُوجب التوبيخ، والتعطيل في الأمور المهمة، **وعلاجه:** أن يُنبِّه نفسه على تلك الرذائل ليتحرك وتنتهي عن تحملها، ويحملها على الغضب، أي: تنبعث على الإقدام على المعاطب، ويلقيها في المهالك والمخاوف لعل المرض يزول، وعليه برعاية الاعتدال في تحريك النفس بدواعي الغضب حتى لا يتجاوز عن حد الوسط.

- **الخوف:** وهو توجُّع النفس من توقع مكروه ينتظر وقوعه، وهو مرض رديء لا يخلو صاحبه من نقصان، **وعلاجه:** بترك أسبابه إن أمكن، وإلا فليُوطن نفسه على ما قدَّره الله، والرضاء به وبقضائه، على أن الانشغال بهمه، وانتظار وقوعه لم يزده إلا الصرف عن مهماته الأخروية، ومصالحه الدنيوية، وخسار العاجل، وهلاك الآجل(١).

٣- **الأمراض الجزئية الحاصلة من القوة الجذبية، وهي ثلاثة أمراض أيضًا:**

- **الحرص:** وهو شهوة حيوانية تنشأ من الإفراط، ولاشك في كثرة أعراضه مع رداءتها؛ لأن صاحبها يكون ذليلًا قصير الهمة كثير الهم، **ويعالج** بالتفكر في مشاركة الحيوانات في قضاء الشهوات كالأكل والوطيء، والتفكر في قلة لذتها، أي: لذة الجسمانيات، وقصر مدتها، وخساسة المطلب، ووجه خساستها؛ فان الله تعالى خلقها لبقاء النوع

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٨، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ): صـ ١٤٣ – ١٥٣، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٧١ – ٣٨٤، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١١١ – ١١٧، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت١٢١٧هـ): صـ ١٢١ – ١٢٧.

والنسل، والتولد الى غير ذلك من الأسرار والحِكم في كل قوة، بل في كل مخلوق، كما تُعالج بالتفكر في استخراج الحِكم واستعلامها علماً مطابقاً للواقع حتى يندفع عن صاحبها ما يُلقِى الوهم في خياله من أن القوة الشهوية إنما خُلِقَت في الإنسان حتى تميل بها الى ملاذِّه التي بها بقاء شخصه ونوعه، ويجذب بها ما يلائمه في ذينك الأمرين وتلك المصلحتين، فأساس العلاج في هذا المرض هو التحرر من عبودية المادة(١).

- **البطالة:** وتنشأ من التفريط، وهي تعطيل القوة الشهوية بالإرادة والاختيار، ولها أعراض ردية ولواحق كثيرة أكثرها لزوماً هلاك النفس آجلًا بإهمال رعاية مصالح المعاش، والقعود عن اكتساب سعادة المعاد، ولا شك أن الكسل يجعله شبيهاً بالجماد منخرطًا في سلكها، كما أن البطالة فيها تعطيل للحكمة من خلق العباد، ومعرفة أحوال المبدأ والمعاد، **وعلاجها:** مجالسة أرباب الجدِّ والهمم المبالغين في العمل، فالعمل قيمة إنسانية تحفظ الكرامة، وتمنع الانحراف، ويرى أثر ذلك في سعادتهم الدينية والدنيوية، ويسمع مذمة أهل الكسل شرعاً وعقلًا وعرفًا، وسوء عاقبة الكسالى، ويتأمل ما تجره البطالة من الانشغال بما لا يعني.
- **الحزن:** وهو تألم النفس من فقد المطالب أو فوت المحبوب، فسببه: التعلق بالمطالب الزائلة، **وعلاجه:** التوجه إلى الباقيات الصالحات من الفضائل والكمالات، وليربط قلبه بها دون الفانيات الفاسدات، من

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٦٨ – ٧٠، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ١٥٣ – ١٦٥.

المزخرفات الدنيوية وسوء الحالات؛ فالإيمان هو مصدر السكينة ودواء الهموم[١].

فهذه الأمراض تنتج من اختلال التوازن في استعمال القوى، سواء بالإفراط أو التفريط، أو بالارتباط بالمطالب الزائلة، ولقد استطاع الإيجي ومن معه من الشراح أن يقوموا بالربط بين الخلل الأخلاقي وغياب التوازن في توظيف القوى النفسية، وبين العلاج وعودة الإنسان إلى الوعي بقيمة هذه القوى في خدمة الكمالات الروحية والتي هي الغاية الإنسانية العليا.

٤- الأمراض المتولدة[٢] عن الأمراض الجزئية الأصلية، وهي سبعة:

- **الحسد:** وهو تمني زوال نعمة الغير، وهو متولد من الحرص والجهل، أما الحرص فإنه يريد أن يظفر بما في أيدي الناس من النعم مع توهمه أنها تحصل له إذا زالت من أيديهم باستحالة، وأما الجهل فلأن الحاسد جاهل بان استيعاب جميع نعم الله لم يتيسر لأحد من خلقه، ولو أمكن ذلك فلا شك في امتناع الاستمتاع بها، وامتلاك جميع الخيرات، وهو يولّد حزناً دائماً، وأقبح أنواعه: حسد العلماء، لأنه يتعلق بالجاه والرياسة والاعتبار لا بالعلم نفسه، **وعلاجه:** بإزالة الحرص والجهل؛ لأنهما سببه الأصلي.

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٣٨٤ – ٤٠٠، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١١٧ – ١٢٥، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٢٧– ١٣٥.

(٢) ما تم ذكره سابقًا هو الأمراض الأولية الأصلية، ولما فرغ منها شرع في ذكر متولداتها وهي سبعة. ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ١٦٥.

- **الغبطة:** وهي طلب حصول الخير لنفسه مع بقاء النعمة عند الغير، وهي صفة ممدوحة لا حرص فيها في الأخرويات، أما في الدنيويات فقد تشوبها الغفلة والحرص لكنها لا تبلغ قبح الحسد، وعلاج الغبطة علاجهما(١)
- **الطمع:** وهو ذُل ناشئ عن الحرص والبطالة والجهل بحكمة الله تعالى في الحاجة إلى التعاون، **وعلاجه:** بزوال هذه الأمور.
- **الحقد:** ضغينة في النفس مع طلب الانتقام، **وعلاجه:** ان يتصور ان بينه وبين هذا الشخص اخوة حقيقية فكيف يرتكب إيلام الأخوة لعل النفس تدع هذا المرض
- **الكذب:** وهو عدم مطابقة الحكم للواقع، وهو أخطر من الصمت، ويولّد فقدان الثقة والنفاق، **وعلاجه:** تذكير النفس بفضيلة النطق، وكونه آلة لبيان الحق، ثم تعويدها على الصدق.
- **الصَّلف:** أي: ادعاء الشخص ما ليس فيه من النزاهة والكمال والتفوق على الغير، وهو يتولد من الكذب والعجب، وعلاجه: بإزالتهما.
- **النفاق:** أي إظهار خلاف المُضمَر، وهو متولد من الصلَف، **وعلاجه:** بإزالة الصلَف(٢).

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٠، ٧١، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ١٦٥ – ١٧٣، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٠٠ – ٤٠٩.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٢٥ = ١٣١، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٣٥– ١٤٣.

فهذه الأمراض النفسانية المولدة من الحرص والجهل والبطالة، أخطرها الحسد؛ لأنه يجمع بين القوة الغضبية والشهوية، وأقبح أنواعه حسد العلماء، ثم الكذب: وهو شرٌّ مُركب يتولد منه رذائل أخرى، كالعجب والنفاق، والمعالجة في جميع هذه الأمراض تقوم على إزالة الأسباب الأصلية من الحرص والجهل مع استحضار الأخوة والصدق والقناعة.

وصفوة القول فيما سبق يمكن استخلاصها فيما يلي

- إن هذا المبحث يكشف عن منهج دقيق ومتكامل في علم الأخلاق عند عضد الدين الإيجي وشُرَّاحه؛ إذ بنَوا رؤيتهم على قياس النفس بالبدن؛ فكما تُحفَظ الصحة وتُستعاد بالعلاج المتدرّج، كذلك تُحفَظ الفضائل وتُسترجع بالمجاهدة والرياضة، فقدموا حفظ الفضائل على علاج الرذائل؛ لأن البناء أولى من الترميم؛ ولأن النفس بطبعها مؤهَّلة للكمال.
- كان الإيجي مُوَفقًا في الجمع بين التربية العقلية عبر العلم والفكر، والتربية العملية عبر الصحبة الصالحة والمجاهدة، والتربية النقدية عبر الصديق الناصح والعدو الكاشف، وهو بذلك يربط بين تزكية الفكر والسلوك.
- الخطة العلاجية للرذائل، القائمة على التدرج من الأسهل إلى الأشد (الغذاء ثم الدواء ثم السم ثم الكي)، تُظهر براعةً في استيعاب الطبيعة البشرية، فلا تتحمل النفس فوق طاقتها، ولا تكن متروكة للهوى.
- تقسيم الأمراض النفسية بحسب قوى النفس (النظرية، الغضبية، الشهوية) وما يتولد عنها، يكشف عن عمق فلسفي وبُعد تربوي، حيث يُبرز أن الخلل الخلقي ليس عرضًا عابرًا، بل هو نتيجة انحراف القوة

عن حد الاعتدال؛ لذا فإن فالعلاج الحق هو إعادة كل قوة إلى وسطها الذي هو عين الفضيلة.

- إن مشروع الإيجي في تهذيب الأخلاق يعد أساسًا متينًا لفلسفة أخلاقية عملية، تُسهم في تزكية الأفراد، وإصلاح المجتمعات، وإعلاء قيمة الإنسان بين دنياه وأخراه.
- لا يمكن النظر إلى معالجة الإيجي للأمراض التي تعتري النفس على أنها بمعزل عن التراث الأخلاقي الإسلامي، بل هي تمثّل امتدادًا أصيلًا وتطورًا لما قرّره من سبقه من فلاسفة المسلمين، وأئمة التصوف؛ حيث إن فكرة قياس النفس بالبدن في العلاج ترجع جذورها إلى ما قرّره ابن مسكويه، والغزالي، وكلاهما ربط بين إصلاح النفس وتدرّج العلاج من الغذاء إلى الدواء فالرياضة، وهو ما سلكه الإيجي مع اختلاف يسير في الترتيب والتحليل العقلي، وبذلك يتّضح أن منهج الإيجي الأخلاقي يجمع بين المربّي والمتصوف، ويؤسس لرؤية وسطية تمزج بين النظر العقلي والتهذيب العملي في آنٍ واحد.

المبحث الثالث: الرؤية الأخلاقية للإيجي والشراح لتدبير المنزل وسياسة المدن.

أولًا: تدبير المنزل:

إن رؤية الإيجي والشراح ترتكز على أساس أن المنزل ليس مجرد مكان للسكن، بل هو مؤسسة أخلاقية واجتماعية، تقوم على التعاون والتدبير، وتتأسس على أربعة أركان هي: المال، الزوجة، الولد، الخادم، ويعد الزوج او الأب هو المُدَبّر الأول الذي يوحّد هذه الأركان ويضبطها بالاعتدال.

والمقصود بتدبير المنزل كما جاء عند الشُرَّاح: الحكمة المنزلية، أي: تدبير العلاقات بين الزوج، والزوجة، والوالد، والولد، والمالك، والمملوك، فهذا هو المعنى المقصود للمنزل لا البيوت المنضَّدَة، ولا القصور المشيدة عند أغلب الشراح[1]ما عدا **منجم باشا** فإنه ذكر أنه وقع تناقض عند غيره من الشراح؛ لأنهم أحيانًا نفوا أن المنزل هو البيت المادي، وأحيانًا أثبتوه عند الكلام عن حفظ القوت.

والصواب: أن المنزل بمعنى المسكن ضروري؛ لأنه يحفظ النفس من الأعداء والسِّبَاع، والمال من السرقة، والمرأة من الفجور... وغير ذلك، وانتهى إلى أن: «المناسب للمقام الملائم للمرام أن يُترك المنزل هنا على معناه المشهور، وهو البيت المتخذ من الحجر أو من الوَبر؛ لأنه من المهمات التي لها دخل تام

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧١، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ): صـ١٧٥، ١٧٧، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤١٠، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين محمد بن محمد بن خضر العمري الكازروني: صـ ١٣٣، ١٣٥.

في بقاء الشخص والنوع»[١].

أركان المنزل:

المنزل يحتاج إلى تدبير خاص في أربعة أمور هي: المال، والزوجان، والخدم، والولد.

وقد انحصرت هذه الأركان في أربعة؛ وذلك لأن الإنسان مُحتاج إلى الغذاء لبقاء شخصه، وإلى التناسل لبقاء نوعه، والغذاء يحتاج إلى تدبير، ومُعاون يقوم في منزله، وينوب عنه في حفظ غذائه وماله، وإلى مال يُحَصِّل به أسبابه، ويصرفه إلى مؤنة عياله؛ لذا فإن الحياة الفردية والنوعية منوطة بالمال، والخدم، والزوجة، والولد حتى يتيسر بها التآلف المخصوص لكل أحد[٢].

١- **المال:** فهو الأصل المقدم؛ لأنه المُحتاج إليه في التعاون، وإقامة شؤون الحياة، فلابد من حسن تنظيمه: من تحصيل، وحفظ، وإنفاق باعتدال وعدل ومروءة، وتدبيره يقوم على ثلاثة أمور هي: –

- **الدخل:** أي طرق تحصيل المال من الزراعة، والتجارة، والصناعة، وغيرها، ويجب فيه مراعاة العدل والمروءة.
- **الحفظ:** وفيه يكون الصرف أقل من الدخل بلا تقتير ولا تبذير، مع مراعاة الاستثمار وتنويع الموارد بين نقد ومتاع وعقار احتياطًا.
- **الخرج:** فما كان في سبيل الله؛ فليجتنب فيه الكراهة والمن والاذى والرياء، وليخُص من يكتم فقره، وما كان في مروءة؛ فالتعجيل والسر، والتحقير والمواصلة، واختيار المصنع، وما كان للضرورة من دفع

(١) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤١٠، ٤١١.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٤٥.

سفيه او جلب نفع؛ فالاقتصار على الضرورة، وما كان للحاجة؛ فالاقتصاد والميل الى السرف أولى فيه من البخل(١).

٢- **الزوجان:** فالغرض المعقول المشروع من التأهل هو النسل، وتنظيم المنزل لا مجرد الشهوة كالبهائم، ولا بد لمن يُريد الزواج مراعاة الصفات الأصلية للزوجة: من العقل، والعفة، والحياء، وإن زاد على هذه الصفات الثلاثة الأصلية النسب الشريف، والوجه الحَسن، والمال كانت أولى وأرجح من غيرها، ولما كانت الرغبة في الجمال المفرط شائعة فينبغي الحذر منها؛ لكثرة راغبهن وضعف عقولهن، وينبغي ألا يتزوج لأجل المال فقط، فإنه يوجب تسلطها عليه، واستخدامها له، فيؤدي إلى الانتكاس ومخالفة القياس، فينتهي الأمر إلى الاختلال في نظام المنزل.

وأما الشروط التي يجب مراعاتها بعد الزواج فثلاثة أولها: إيقاع الهيبة في نفسها بإظهار الفضائل وستر العيوب وقلة الانبساط، **وثانيها:** تربيتها وتكريمها بما يناسبها، فيسترها عن غير المحارم، ويشاورها في الجزئيات لا في الكليات؛ لضعف رأيها فيكثر الفساد، ويُحَكِّمها في المنزل، ويُكرم اقاربها ويدفع الغيرة عنها بان لا يستأثر عليها غيرها، وإن كانت خيراً منها؛ لئلا يقع في الفجور والفسوق، **وثالثها:** شغل خاطرها بشئون المنزل فإن التعطيل يبعث

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٢ – ٧٤، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١٧٧ – ١٨٣، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤١٤ – ٤٢٦، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٣٥ – ١٤٣، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٤٧ – ١٥٥.

على الانشغال بما لا يعنيه، وهو يفضي إلى الفساد واختلال نظام المنزل وانتهاك الحرمة(١).

وأما الأمور التي يجب الاحتراز عنها مع الزوجة، فمنها أن يتجنب فرط محبتها المقتضي لاستيلائها، وإن ابتُلي بذلك فليستره، وإن غلبت عليه فليُعالجه بعلاج العشق، ولا يُطلعها على أسراره، ولا يشاورها في الكليات، ويُجنبها الملاهي، ومجالسة العجائز، ويستر عنها مقدار ماله، **ويجب على النساء في طلب مرضات ازواجهن خمسة أمور**: العفة، وإظهار الكفاية، والخشية، وحسن التبعُل، وقلة العتاب بان تجاهله في المعاشرة، وإن أحسَّ منها بفساد فليتركه البتة(٢).

وقفة مهمة:

مما هو معلوم أن **منجم باشا** من أكثر شراح المختصر تفريعًا وتدقيقًا، وفي هذا المقام قد ركَّز على أمر مهم يتعلق بستر محبة المرأة؛ إذ عدَّه من قبيل التكليف بما ليس في الوسع؛ ولذا يختلف حكمه تبعًا لفكر القائل به وهويته العقدية؛ حيث إن مسألة التكليف بما لا يطاق أحد المسائل الخلافية بين الأشاعرة

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٤، ٧٥، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١٨٥-١٩٥، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٢٦ – ٤٣٨، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٤٣ – ١٥١، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت١٢١٧هـ): صـ ١٥٧ -١٦٧.

(٢) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٤، ٧٥، ونظم تهذيب الأخلاق، لقوام الدين القزويني صـ٢٢٥.

والماتريدية[1]، ولقد حقق **منجم باشا** القول في هذه المسالة حيث يقول: «وأنت خبير بأن الأمر بالستر من قبيل التكليف بما ليس في الوسع لكنه جائز عند المصنف، فإنه تابع للأشعري في العقائد، وهو يُجَوِّز التكليف بما ليس في الوسع...، فإنهم قسموا الممتنع الذي ليس بداخل في الوسع الى ثلاثة أقسام: قسم ممتنع بالذات مثل اجتماع الضدين والتكليف به ليس بجائز بالاتفاق، وقسم ممتنع بسبب تعلق علم الله بخلافه مثل إيمان أبي جهل، وقسم ممتنع بحسب العادة مثل الطيران الي السماء وحمل الجبل، والتكليف بالقسم الثاني جائز بالاتفاق، والخلاف في الثالث؛ فإن الأشعري يُجَوِّز التكليف به كالتكليف بالثاني، والماتريدي لا يُجوِّزه، وكتمان العشق وستر المحبة المفرطة من هذا القسم الثالث؛ لأن أوله اختياري وآخره اضطراري كما هو ظاهر على من ابتلى به وذاق منه شيئًا، فكيف يقدر على ستره؟»[2].

فلقد رفض منجم باشا القدرة على ستر العشق؛ لأنه في هذه الحالة مما ليس في وسع المرء حمله تبعًا لمذهبه الماتريدي في منع التكليف بما لا يطاق، وعلى الرغم من مخالفته لفكر عضد الدين الإيجي الأشعري في جواز التكليف بما لا يطاق، إلا أنه كان أمينًا في عرض المذهب، ومتناسقًا مع رأيه العقدي، وتلك اللمحة تدل على قدرة منجم باشا على الجمع بين فكره العقدي والأخلاقي

(١) ينظر: نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في علم العقائد، لعبد الرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده (ت٩٤٤هـ): صـ٢٥ – ٢٧، ط١، المطبعة الأدبية، القاهرة (١٣١٧هـ)، والمسالك في الخلافيات بين المتكلمين والحكماء، لعبد الله بن موسى بن عثمان أفندي المعروف بمستجي زاده (ت١١٥٠هـ): صـ١٥٥، ١٧٣.

(٢) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٣٣.

مع وعيه التام بكيفية هذا الجمع.

٣- **الخدم:** وهم كالأعضاء من البدن للمنزل؛ لأنهم أجزاء فاعلة في كيان المنزل الجماعي، وهم نُوّابٌ عن أعضاء المُدَبّر في صدور الأفعال، ووجودهم سبب لراحة ورفعة صاحب المنزل، ولتحريره للاهتمامات النفسية والفكرية، وعلى **صاحب المنزل واجبات أخلاقية نحوهم**؛ إذ لابد أن يعتبرهم ودائعَ الله عنده، فعليه توفير المأكل والملبس والشراب، ومعاملتهم بلطف معتدل، لا مع ضعف يُفضي للتكاسل، ولا عنف يُفضي للظلم، ومَنحِهم وقت للراحة، وعدم المبالغة في العقاب؛ لأن ذلك يفضي إلى فساد أكبر، وصرف الخدمة عن الحُبِّ إلى الخوف، **وعند اختيارهم وتعيينهم للوظائف:** ينبغي التفَرُّس في الصورة والسيرة لتقدير الاستعدادات، وتعيين كل خادم للعمل الملائم له، مع إجراءات تربوية متدرجة عند الخطأ: فالعفو أولًا، والتنبيه ثانيًا، والعقابِ المناسب ثالثًا، وإبعاد حال فشل التهذيب، وتختلف طرق معاملة الخدم تبعًا لاختلاف أنواعهم: **فالخادم الحر بالطبع:** يُربّى ويُعلّم ويُحترم مثل الولد، **والعبد بالطبع:** مطلوب منه القدرة البدنية، ويُنزل منزلة الدواب في الأعمال والرياضة، ولا يُرتقب منهم تمييز أخلاقي عالٍ، **وعبد الشهوة:** يقضى شهوته بقدر الحاجة، ويُكلف بالأعمال الشاقة بالامتنان والاستخفاف(١).

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٥، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ١٩٥-٢٠١، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٣٨ – ٤٤٥، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٥١– ١٥٥، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): ص١٦٧ – ١٦٩.

فهذه نظرة تربوية معتدلة من الإيجي والشراح ترتكز على قاعدة أخلاقية متينة، وتعكس جوهر الرؤية الإسلامية في معاملة الخدم، وقد برز ذلك جليًا في الحرص على معاملتهم كأوصياء على نظام المنزل، وجعل مصالحهم ومقومات عيشهم من أولويات صاحب المنزل، وتعيينهم وفق قابليتهم، وليمارس معهم ضبطًا تربويًا متدرجًا، وليحرص على كسب محبتهم لا إخضاعهم بالخوف، فذلك أبلغ سبيلٍ لاستدامة النظام، والإنتاج الأخلاقي للمجتمع المنزلي.

٤- **الولد:** فينبغي العناية بتسميته اسمًا حسنًا؛ لأن للاسم أثرًا في النفس، وإرضاعه من امرأة معتدلة المزاج حسنة الأخلاق؛ لأن الطباع والأخلاق تسري إلى الطفل، وإذا بلغ سن التمييز وكانت أخلاقه محمودة وجب حفظها وصيانتها، وإن كانت مذمومة وجب معالجتها، وليخْتار له مخالطون من أهل الخير، حتى تترسخ الفضائل في نفسه، وتعليمه صناعة تناسب استعداده، فلكل إنسان استعداد خاص يجب على المربي أن يتفحصه.

وأما حقوق الولد تجاه والديه: فعليه أن يعرف أن والديه هما السبب القريب في وجوده وتربيته بعد الله تعالى الموجد المطلق، وحاجة الوالدين إلى خدمته توجب زيادة العناية بهما من الطاعة، والمحبة، والإحسان، وبذل الجهد في استرضائهما، والمعلم مثل الوالدين، فإذا كان الوالدان سببًا في الصورة الجسدية، فإن المعلم سبب في الصورة الإنسانية، العقلية والأخلاقية، والحياة الأبدية؛ لذا يجب للمعلم من الرعاية والبر مثل ما يجب للوالدين(١).

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٥، ٧٦، وشرح الأخلاق العضدية، (ت ٩٦٨هـ): صـ ٢٠١ - ٢١٩، وشرح الأخلاق =

والحق أن هذا يعد منهجاً متكاملًا في العناية بالطفل منذ ولادته باختيار الاسم والمرضعة، ثم بتقويم أخلاقه، ومراقبة ميوله، وتوجيهه نحو ما يلائمه، مع التأكيد على أن التربية لا تقتصر على الأبوين، بل تشمل أيضاً دور الصحبة والمُعلم، ثم يقرر أن للوالدين حقًّا عظيماً في الطاعة والإحسان، وللمعلم حقًّا موازياً؛ لأنه يُكمل إنسانية المتعلم بالعلوم والفضائل.

ومن جميع ما سبق يتبين أن الإيجي ومن معه من الشراح قد انتقلوا من تدبير الأخلاق الفردية إلى سياسة المنزل، ثم بعد ذلك إلى تدبير المدن بأسلوب رائع يبدأ من الفرد وينتهي بالمجتمع.

ثانيًا: تدبير المدن:

يقصد بتدبير المدن: الحكمة المدنية: «وهي الأحوال التي تكون بين كل واحد، وعامة الخلق كيف ينبغي أن تكون حتى تؤدي إلى تحصيل المصالح، ودفع المفاسد بقدر الإمكان»(١).

ولقد اختصر **طاش كبرى زاده** هذا المعنى فقال: «هي النظر في القوانين الكلية المقتضية لمصلحة الجمهور من جهة التعاون»(٢).

العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٤٥ – ٤٧٠، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٥٥– ١٦٣، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٧١ – ١٨٥.

(١) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٧.

(٢) شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ٢٢١.

والمدقق يجد أن الإيجي قد وافق ابن سينا في قِسمة الحكمة العملية إلى ثلاثة: الأخلاق، وتدبير المنزل، والسياسة المدنية[1]، وأن النظام الخُلقي يبدأ بإصلاح النفس، ثم ينتقل إلى الأسرة، ثم إلى الجماعة، وهو عين ما فعله الإيجي حين ربط بين تهذيب الفرد وتدبير المنزل وسياسة المدن في نسق واحد.

وقبل الحديث عن تدبير المدن فإن الشرَّاح قد ذكروا مقدمات وفوائد لبيان أن الإنسان لا غنى له عن الاجتماع والتعاون، ولا يكتمل إلا بمعاشرة الناس وظهور الفضائل بينهم، وهو اجتماعي بطبعه يُحب الاختلاط ويجد سعادته فيه، وقد جاءت الشريعة لتقوية هذا الاجتماع وتنظيمه.

ويمكن التعرف بإيجاز على هذه الفوائد الثلاثة التي لخّصها الشراح في مقدمة حديثهم عن تدبير المدن فيما يلي: -

الفائدة الأولى: الإنسان مدني بالطبع، أي لا يستطيع أن يعيش وحده مكتفياً بنفسه، يحتاج إلى الاجتماع مع أبناء نوعه للتعاون في تحصيل ضروريات حياته وحفظ نوعه، وهذا التعاون يتم بالخدمات المتبادلة؛ لأن الفرد الواحد عاجز عن القيام بجميع الصناعات والأعمال بنفسه.

الفائدة الثانية: لا يكتفي الإنسان في تكميل ذاته بنفسه، بل يحتاج إلى جماعة كثيرة العدد ليتمّ له العيش الطيب والحياة السليمة؛ فكانت مخالطة الناس لازمة لظهور الفضائل الإنسانية، كالعدالة، والعفة، والشجاعة، وسائر الفضائل الأخرى، أما الانعزال والانفراد، فلا تنتج عنه الفضائل الحقيقية، بل يجعل القوى معطلة بلا فعل.

---

(١) يراجع: عيون الحكمة، لابن سينا، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي: ص١٦، ١٧، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (١٩٥٤م)، والتفكير الفلسفي في الإسلام، د. عبد الحليم محمود: جـ٢صـ٢٠٦، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (١٩٦٤م).

الفائدة الثالثة: الإنسان أنيس بالطبع وليس وحشياً ولا منفّراً، وهذا هو أساس المحبة بين الناس، وهو ما ترسخه الشريعة والعبادات الجماعية، كالصلاة اليومية، والجُمَعة، والعيدين، والحج، وهذه الاجتماعات تُنمّي الأنس والمحبة، وتربط الناس بعضهم ببعض، وبذلك يتحقق التمدن الصحيح(١).

ولقد أقر فلاسفة الإسلام بمدنية الإنسان وحاجته بطبعه إلى الاجتماع والتعاون، لا سيما الفارابي (ت٣٣٩هـ)، وابن مسكويه، وابن خلدون (ت٨٠٨هـ)

يقول أبو نصر الفارابي: «وكل واحد من الناس مفطور على أنه مُحتاج في قوامه، وفي أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن بقوم بها كلها وحده، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشيء مما يحتاج إليه، وكل واحدٍ من كل واحدٍ بهذه الحال؛ فلذلك لا يمكن أن يكون الإنسان ينال الكمال، الذي لأجله جعلت الفطرة الطبيعية إلا باجتماعات كثيرة متعاونين»(٢).

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٧، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٧٠ – ٤٧٨، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٦٥– ١٧٠، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٨٧ – ١٩١.

(٢) آراء أهل المدينة الفاضلة، لأبي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ)، تقديم وتعليق: د. ألبير نصري نادر: صـ١١٧، ط٢، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (٢٠٠٠م)، ويراجع: تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ): صـ٣٤، وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨ هـ)، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار: جـ١صـ ٥٤، ط١، دار الفكر، بيروت (١٤٠١هـ =١٩٨١م).

الأساس النظري لفكرة التمدن:

يمكن التعرف على هذا الأساس من خلال ما جاء عند عضد الدين الإيجي؛ حيث ذكر أن خير المدن ما كان مبنيًّا على محبة دائمة، وفي ذلك يقول: «الحاجة إلى التعاون أوجبت التمدن، وخيرها ما كان عن محبة، وهي إما للخير، أو للنفع، أو للذة، أو مركب منهما، وقد يتساوى الطرفان، وقد يختلفان، ودوامها بحسب ذلك»(١).

ولقد قام الشراح ببيان هذا الأمر بين إيجاز وإطناب مع التركيز على أن التمدن: «تجمّع وتعاون بين الناس لتحقيق مصالح مشتركة، وأن المحبة أساس هذا التعاون، وهي الرابط الذي يجمع أهل المدينة، وتنقسم إلى: محبة الخير، ومحبة النفع، ومحبة اللذة، ومحبة مركّبة، وأرسخها: محبة الخير لله، وللرسول، وللعلماء، **والمحبة** تختلف في السرعة والثبات؛ فما كان لذي منفعة أو لذة يزول سريعًا، وما كان لخير فهو ثابت، **وبناءً على ذلك** فالتمدن ليس مجرد عمران، بل هو نظام أخلاقي عملي، والمحبة والخير هما أساس الاستقرار والتوازن بين الطبقات، وضبط الفئات المُفسدة»(٢).

---

(١) المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(ت٧٥٦هـ): صـ٣١.

(٢) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٧ باختصار، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ٢٢٩، ٢٣١، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٧٨ – ٤٨٤، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٦٩– ١٨١.

اركان المدينة:

إن المدينة تقزم على أركان ثلاثة: مالك وهو المتصرف، ومملوك وهو المُتصَرَف عليه، وأمثال وهم بمنزلة سواء من المالك والمملوك.

ولقد بين منجم باشا سبب الحصر في ثلاثة؛ وذلك لأن في كل جماعة مَدينة يجب أن يكون زمام التدبير، وعنان السياسة العظمى في يد شخص واحد وهو المالك؛ إذ التعدد يوجب الاختلال والفساد، وهو لامحالة أكملهم، وأفضلهم وأحقهم لهذا الأمر من جميع الوجوه، ولا شك أن مثل هذا التدبير، أعنى: تدبير جماعة عظيمة على وجه العدالة والإنصاف لا يتصور بدون معاونة جماعة منقادون له حق الانقياد، مقهورون تحت حكمة وسلطانه وهو المملوك، فلم يبق إلا من كانت نسبته الى المالك والمملوك بالمثلية، وهم الأمثال(١).

ولكل واحد من الثلاثة أحكام وشروط نتعرف عليها باختصار فيما يلي:

١- **المالك:** وينبغي فيه سبعة أمور: **أن يكون أصيلًا** ليطاع بلا أنفة، **عالي الهمة**؛ لئلا يرتكب الأمور الخسيسة، **متين الرأي**؛ لئلا يختل نظام مملكته، **ثابت العزم**؛ لأن ملكة التردد في الأمور يفضي إلى التعطيل، **صبورًا**؛ لأن الصبر على مقاساة الشدائد مفتاح المقاصد، **مُوسِرًا**؛ لأن اليسار سبب لمزيد الاقتدار والغنى وسيلة المُنى، **ذا أعوان** متفقة ليتيسر له دفع الخصوم، ومنع الظالم عن المظلوم.

ولقد نبَّه الشراح على أن هذه الأمور السبعة منها أربع تعد أصلًا ضروريًا، وما عداها فرع. أما الأصل الضروري فهو علوّ الهمّة، ومتانة الرأي، وثبات العزم، والصبر، وما عدا هذه الأربعة من المحسنات، وليس بضروري وهو:

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٨٧ – ٤٨٨.

الأصالة في النسب، واليسار، وآنه ذا أعوان[١].

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤالًا مفاده: لماذا قدم الإيجي أصالة النسب مع أنها غير ضرورية؟

والجواب قد جاء عند منجم باشا، وإسماعيل مفيد أن ذلك إشارة منه الى ما هو المختار عند الأشاعرة[٢] أن القرشية شرطًا للإمامة[٣].

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٧، ٧٨، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ٢٣١، ٢٣٥، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٨٨ – ٤٩٠، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين محمد بن محمد بن خضر العمري الكازروني: صـ ١٨١، ١٨٣، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٩٧ – ١٩٩.

(٢) شرط القرشية في الإمام من الشروط المختلف فيها، فذهب جمهور أهل السنة والجماعة، وجميع الشيعة، وبعض المعتزلة، إلى اشتراطه في الإمام. ينظر: شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني (ت٧٩٣هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين: جـ٣ صـ٤٨٠، بينما ابن خلدون فقد صرح باستبدال هذا الشرط بالشوكة والعصبية السياسية؛ نظرًا لظروف العصر، وقد ذكر ابن خلدون أن القاضي الباقلاني من القائلين بذلك حيث قال: «ومن القائلين بنفي اشتراط القرشيّة القاضي أبو بكر الباقلانيّ لمّا أدرك ما عليه عصبيّة قريش من التّلاشي والاضمحلال... فأسقط شرط القرشيّة». ينظر: ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨ هـ): جـ١صـ٢٣٣بتصرف، وأيضًا إمام الحرمين الجويني قد تشكك في هذا الشرط حينما قال: «وهذا مما يخالف فيه بعض الناس، وللاحتمال فيه عندي مجال». الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، لحقيق: زكريا عميرات: صـ٤٢٧، وقد وضع الآمدي هذا الشرط محل اجتهاد حينما قال: «ولعمري إن مثل هذا الشرط واقع في محل الاجتهاد». غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق: د. حسن الشافعي: صـ٣٨٤، ط٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة (١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م)، ويراجع: الآمدي وآراؤه الكلامية، د. حسن الشافعي: صـ٥٠٨، ٥٠٩، ط١، دار السلام، القاهرة (١٤١٨هـ = ١٩٩٨م).

(٣) شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٨٨ بتصرف، وينظر: شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٩٧. ونجدر الإشارة إلى أن علماء الأشاعرة ومنهم عضد الدين الإيجي قد أكدوا على أن الإمامة ليست من أصول العقائد التي ينبني عليها =

وعلى المالك ان يأتي بأمور ثلاثة: «الأول: تعديل ارباب السيف والقلم، والمعاملة، والمزارعة فلا يُمَكِّن أحدهم من الغلبة على الباقي لئلا يتعطل فانه يؤدى الى اختلال أمور المملكة، والثاني: تعظيم الاخيار وتقويتهم؛ لاستمالة قلوبهم اليه، ومنع الاشرار وتأْديبهم بالزجر فان لم ينزجروا فبالحبس، الثالث: التسوية بين هؤلاء المذكورين في الرزق والمرامات»(١).

٢- **المملوك:**

ولقد ذكر الإيجي والشراح بعض الأحكام العامة التي تجب على المملوك، ويحسن بنا أن نأتي بما ذكره شمس الدين الكرماني في إيجاز غير مخلٍ؛ حيث قام بإجمال هذه الأمور عند شرحه لعبارة الإيجي، فقال: «وهى غاية التعظيم، والامتثال والملازمة بلا إملاء، والتزيين، والمدح، إلا من كان ذا منزلة فانه يَمدَح في الخلوة، والرفق في تغيير رأيه، أي: المالك، فان الخشونة تهيج الغضب، والكتمان لأسراره ليكون معتمداً، واجتناب ارباب التهمة والشفاعة فيهم، والايثار بكل حظ، والموافقة في كل شيء، وترك الحرص ولينتفع به لا

إيمان أو كفر. يقول الإيجي وشارحه: «الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد؛ خلافًا للشيعة، بل هي عندنا من الفروع». شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي، تأليف السيد الشريف علي الجرجاني (ت٨١٦هـ): جـ٩صـ٣٧٦، ويراجع: أبكار الأفكار في أصول الدين، لسيف الدين الآمدي، تحقيق: د. أحمد محمد المهدي: جـ٥صـ١١٩، ط٤، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة (١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م).

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٨، وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ٢٣٥-٢٤٥، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٤٩٠ - ٥٠٠، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٨٥- ١٩١، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ١٩٩ ،٢٠١.

منه، أي: ينبغي أن يكون صاحب كفاية»[1].

ثم يكمل الكرماني باقي الأمور التي تجب على المملوك مؤكداً على ضرورة حفظ مقام الملوك من الإجلال وحفظ الهيبة فيقول: «وليحترز منه عند غضبه، ولا يتشكى منه ولا في ضميره؛ لان الملوك أكثرهم صاحب الفراسة، وليمت اليه، أي: لميل اليه بتواصل الخدمة، وإن جعله أخاً جعله رباً ليزداد الشفقة، وليتوق نفسه عن خصومة بسلوك طريق الاستقامة معهم، ولا يضطرب فيما يقال فيه من الأمور الموجبة للتهمة، ولا يلتف، ولا يداخل فيما يسره المالك عنه، ولا يسارّ بحضرته؛ فان المسارة موهمة، ولا يطلب التقدم على الاقدمين؛ فان ذلك يلقح الحقد والعداوة»[2].

٣- **الأمثال:**

قدم الإيجي والشراح رؤية أخلاقية متكاملة في التعامل مع الأمثال المشابهين للمالك والمملوك في بعض الأحوال، وهذه الرؤية تقوم على تصنيف العلاقات إلى عداوة وصداقة، ومعرفة، مع بيان أحكام كل منها، وتُوازن بين الرحمة والعدل، وتُفرّق بين الصديق والعدو والمعارف من اجل بناء مجتمع متماسك قائم على الإحسان والفضيلة مع الحذر من الانزلاق إلى الظلم أو النفاق.

وبيان ذلك باختصار فيما يلي: -

---

(١) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٨.

(٢) المصدر السابق، نفس الصفحة، ويراجع: شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ٢٥٩-٢٦٧، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٥٠١ – ٥٠٩، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٩١– ١٩٧، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ٢٠٥ -٢١١.

الأصدقاء: وهم نوعان: صديق غير حقيقي، ويوصي بملاطفته، وإظهار البشاشة له، وتقديم الهدايا، وتعهد أهله، وبذل المال له، والصفح عن الزلات، وتقليل العتاب، وكتمان السر والمال عنه، وأما الصديق الحقيقي فلا يحتاج لهذه التكاليف؛ لأنه بمنزلة النفس الواحدة.

الأعداء: ولقد عالج الإيجي والشراح هذه القضية، مع بيان كيفية التعامل مع العدو بأسلوب أخلاقي دقيق.

فالعداوة: عبارة عن فُرقة شديدة تنجم عن الكراهة، «وأخطر الأعداء: القريب المخفي؛ لأنه يطلع على الأسرار، والتعامل مع الأعداء يكون: بالمداراة واللين أولًا، مع العفو عما يظهر منهم رجاء رجوعهم، والحلم وترك المخاصمة؛ لأن المنازعة تستنزف الأموال والأعمار وتضر بالسعادة الأبدية، وإن أُجبِر على الدفاع: يشكوهم للرؤساء بعدلٍ من غير بهتانٍ، ولا ذكر معايب خارجة عن موضع الخصومة، ثم الاحتياط والحذر منهم بالتجسس على نياتهم ومكايدهم للوقاية، والاطلاع على معايبهم، وإخفائها حتى يحين وقت إظهارها ليكون أوقع، وملازمة الصدق والعدل، وعدم الإصغاء للوشاة شياطين الإنس، ومخالطة خلطائهم للاطلاع على أحوالهم ومنع ميلهم الكامل للأعداء، والغلبة عليهم بالفضائل خير وسيلة لكسرهم، ولا يجوز الخيانة أو الغدر حتى مع الأعداء، بل الوفاء يلين قلوبهم ويجلب ثناء الناس، أما عداوة الحسد فلا علاج لها إلا بفضح الحاسد وإظهار نعم الله على المحسود ليُكشف خُبثه»[1].

المعارف: فالأصل فيهم حسن المعاملة بما يولد الصداقة، مع استثناء المتكبر

(١) شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): صـ ٧٨، ٧٩باختصار، ويراجع: وشرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده (ت ٩٦٨هـ): صـ ٢٦٧-٢٨٧، وشرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٥١٠ – ٥٣١.

الذي يؤدَّب بمثله.

ولقد خصص الإيجي ومن معه من الشراح أحكاماً لفئات معينة من الناس: فالسفهاء يُتجاهلون، والناصحون يُكرمون، والعلماء يُدعمون ليتفرغوا للعلم، والمتعلمون يُهذَّبون ثم يُعلَّمون، مع التأكيد على وجوب قضاء الحاجات، ومراعاة العادات الاجتماعية كالتهنئة والتعزية وعيادة المرضى، بشرط البعد عن النفاق، **والغاية العليا** من كل هذا: التشبه بالله تعالى في إيصال الخير بلا غرض؛ تحقيقاً لمقام الخلافة الإلهية، الذي يُعد ذروة الكمال الأخلاقي(١).

والحق أن هذه الرؤية تعكس منهجاً واقعياً وأخلاقياً لا سيما قي مواجهة الأعداء التي فامت على التدرج: فالصلح أولًا، ثم التجنب، ثم القهر العادل، مع الالتزام بالصدق والعدل، وتجنب الرذائل.

ومن خلال عرض تدبير المنزل وسياسة المدن عند الإيجي والشراح يمكن أن نستخلص عدّة أمور ومنها ما يلي: -

- الترابط بين الفرد والمجتمع: فالأخلاق لا تقتصر على سلوك الفرد فقط، بل تنبني تدريجياً من ضبط النفس إلى تنظيم المنزل، ومنهما إلى سياسة المدينة، ومن ثم فإن الأخلاق عندهم أساس العمران ومناط السعادة الدنيوية والأخروية.
- ظهر جلياً من خلال رؤية الإيجي أن السياسة ليست منفصلة عن الأخلاق، بل هي تطبيق عملي للأخلاق في نطاق أوسع.

---

(١) ينظر: شرح الأخلاق العضدية، لمنجم باشا (ت١١١٣هـ): صـ ٥١٠ – ٥٣١، وشرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين الكازروني: صـ ١٩٧– ٢٠٩، وشرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): صـ ٢١١ –٢٢٩.

- الوسطية ونبذ الإفراط والتفريط أساس الإصلاح: سواء فيما يتعلق بالمال أو معاملة الزوجة والأولاد، أو في سياسة المدن.
- اتسمت نظرة الإيجي والشراح بالسمة الواقعية لا سيما في التعامل مع البشر، وتقسيم الناس إلى أصدقاء، وأعداء، ومعارف، مما يكشف عن النظرة العملية التي تقوم على الموازنة بين اللين والحزم.
- أعاد الإيجي والشراح تفسير الحكمة العملية تفسيراً أخلاقياً، بالربط بين الفضيلة الفردية والعدالة الاجتماعية، وجعل المنزل نموذجاً مصغّراً للمدينة، والمدينة تجسيداً موسعاً للأخلاق.
- جمع الإيجي والشراح بين نظرة الفارابي السياسية، ومنهج ابن سينا الفلسفي، وواقعية ابن خلدون الاجتماعية، في بناء أخلاقي متكامل.
- الغاية النهائية التي يطمع الإيجي والشراح في الوصول إليها من كل هذه الأمور: هي أن الإنسان يبلغ كماله بالتشبه بصفات الرحمة والعدل الإلهي.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتوصيات

أولًا: أهم النتائج التي توصل إليها البحث:

في ضوء ما تقدّم من دراسة تحليلية لكتاب مختصر الأخلاق لعضد الدين الإيجي وشروحه المتعددة يُمكن استخلاص النتائج التالية:-

- أثبت البحث أن الإيجي قدّم رؤية أخلاقية متوازنة جمعت بين الموروث الفلسفي، والأصول الكلامية والاعتبارات الشرعية، مستفيداً من أفلاطون وأرسطو في تحليل قوى النفس والفضائل، ومن الفارابي وابن مسكويه في بيان البعد الاجتماعي للإنسان، دون تقليد أو انحراف؛ مما أكسبه تفرّداً جعله موضع عناية الشراح وامتداداً أصيلًا للفكر الأخلاقي الإسلامي.
- خلصت الدراسة إلى أن الإيجي وشراحه شكّلوا مرحلة مهمة في تطور الفكر الأخلاقي الإسلامي، إذ جمعوا بين الفلسفة النظرية والتجربة الروحية، وأسّسوا لنزعة أخلاقية وسطية رصينة.
- تضافرت جهود الشراح على إبراز ما تحويه الأخلاق العضدية من جوانب علمية مختلفة؛ فاشتغل الكرماني بالتبسيط والشرح اللغوي والمنطقي لعبارات الإيجي، بينما اهتم الكازروني بإبراز القيمة التربوية والروحية للأخلاق، كما برع طاش كبرى زاده في تحليل الأصول الفلسفية والشرعية للمفاهيم الأخلاقية، وقد وسّع منجم باشا الجانب المقارن والنقدي فجمع بين الشروح السابقة، وأضاف مصادر فلسفية وصوفية متنوعة، كما صنف قوام الدين القزويني أرجوزة في شرح الأخلاق العضدية تسهيلًا لحفظها، وتعميماً للفائدة المرجوة منها.
- أظهر البحث أن شروح المختصر مثّلت تطوراً طبيعياً في الفكر الأخلاقي الإسلامي؛ إذ حافظت على روح الإيجي، لكنها عمّقت التحليل؛

مما جعلها تُعبّر عن مدرسة فكرية متكاملة في الأخلاق الإسلامية المتأخرة.

- اتسم المنهج الأخلاقي عند الإيجي والشراح بالشمول والترابط؛ إذ يبدأ بتزكية النفس الفردية، ثم ينتقل إلى تدبير المنزل، وينتهي بسياسة المدن، وهو تسلسل يبيّن أن الأخلاق عندهم ليست شأنًا فرديًا فحسب، بل نظامًا اجتماعيًا وسياسيًا شاملًا.
- اتخذ الإيجي والشراح في معالجة بعض المسائل اتجاهًا قائمًا على رياضة النفس ومجاهدتها، وهو الاتجاه الذي يقترب مما سلكه أرباب التصوف السني.
- تجلّى البعد الكلامي في معالجة القضايا الأخلاقية من خلال ربط بعض الفضائل بمسائل القدرة والإرادة والحسن والقبح، مما جعل النظر الأخلاقي عند الإيجي والشراح مرتبطًا بعلم الكلام الأشعري.
- احتل كتاب المختصر مكانة رفيعة بين كتب الأخلاق الإسلامية، إذ جمع خلاصة التراث الفلسفي والكلامي والصوفي في صياغة موجزة دقيقة، فصار مرجعًا رئيسًا في الأخلاق الإسلامية، وتتابعت عليه الشروح والحواشي قرونًا طويلة.
- أثبت الإيجي والشراح إمكان تهذيب الأخلاق وتغييرها عبر المجاهدة والرياضة، مؤكدين أن العادة والممارسة أساس تكوين الملكات، في انسجام مع الرؤية الصوفية التربوية.
- قامت النظرية الأخلاقية عند الإيجي على مبدأ الاعتدال، فجعل الفضيلة وسطًا بين الإفراط والتفريط، متأثرًا بالتصور الفلسفي مع إضفاء الطابع الشرعي عليه.

- طبّق الإيجي والشراح مبدأ النقد الذاتي والإصلاح المستمر؛ حيث جعل الإيجي وسيلة الحفظ قائمة على نصيحة الصديق، ومراجعة النفس بقول العدو، وملاحظة عيوب الآخرين لا للشماتة بل للعبرة.
- تتسم الأخلاق لدى الإيجي بالمرونة، فحفظ الفضيلة ليس حالًا ساكنًا بل سيرٌ دائم نحو الكمال، مما يجعل الأخلاق عنده مشروع تزكية مستمر لا يتوقف.
- أقام الإيجي خطته العلاجية على قياس النفس بالبدن، فالرذائل أمراض تعالج بالتدرج، وهذا التدرج يمنع صدمة النفس، ويكشف عمق فهمه للطبيعة البشرية.
- جمع الإيجي بين العلاج العقلي (كإزالة الجهل والشك بالحجة)، والعلاج الوجداني (كالصبر والزهد والرضا)، والعلاج العملي (كمجاهدة النفس ورياضتها).
- التدرج من الوقاية إلى العلاج؛ حيث جعل الإيجي والشراح الوقاية بتربية النفس وحفظ الفضائل مقدمة على العلاج، إيمانًا بأن البناء أولى من الترميم، وأن النفس مهيأة للكمال بفطرتها.
- ربط الإيجي بين الفضائل والسعادة الحقيقية في الدنيا والآخرة، وبين الرذائل والهلاك النفسي والروحي، مما يمنح منهجه بعدًا دينيًا أخلاقيًا متكاملًا.

ثانيًا: التوصيات:

وفي ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة، برزت مجموعة من التوصيات التي تهدف إلى تعميق البحث في الفكر الأخلاقي الإسلامي، وتفعيل الاستفادة منه في الواقع المعاصر، ومن هذه التوصيات ما يلي: –

- العناية بتحقيق شروح مختصر الأخلاق لعضد الدين الإيجي تحقيقًا علميًا دقيقًا؛ لما تحويه من مادة فكرية غنية تُبرز تطور الفكر الأخلاقي في الإسلام.
- إجراء دراسات مقارنة بين الإيجي وشراحه من جهة، وبين فلاسفة الأخلاق في الإسلام كالغزالي والطوسي وابن مسكويه من جهة أخرى، لإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف في المنهج والمقاصد.
- الاستفادة من البعد التربوي والعملي في الفكر الأخلاقي عند الإيجي وشراحه، واستثماره في بناء مناهج الأخلاق المعاصرة التي تربط بين النظرية والتطبيق.
- توسيع نطاق البحث في أثر الموروث الفلسفي والكلامي في تشكيل الرؤية الأخلاقية الإسلامية، وخاصة أثر الفارابي وأرسطو في بناء تصورات الإيجي عن الفضيلة والاعتدال.
- تشجيع الدراسات الأكاديمية على إعادة قراءة التراث الأخلاقي الإسلامي قراءة تحليلية نقدية تكشف عن أصالته وعمقه، وتسهم في تجديد علم الأخلاق بما يلائم قضايا الإنسان المعاصر.

فهرس المصادر والمراجع:

- أبكار الأفكار في أصول الدين، لسيف الدين الآمدي، تحقيق: د. أحمد محمد المهدي: ط٤، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة (١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م).
- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي: دار المعرفة، بيروت (بدون تاريخ).
- الأخلاق الناصرية، لنصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، ترجمة وتحقيق: د. محمد صادق فضل الله: ط١، دار الهادي، بيروت (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).
- الأخلاق الناصرية، لنصير الدين الطوسي (ت٦٧٢هـ)، ترجمة وتحقيق: د. محمد صادق فضل الله: ط١، دار الهادي، بيروت (١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م).
- الأخلاق النظرية، د. عبد الرحمن بدوي: ط٢، وكالة المطبوعات، الكويت (١٩٧٥م).
- الأخلاق بين الفلاسفة وعلماء الإسلام، د. مصطفى حلمي: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٤هـ = ٢٠٠٤م).
- الأخلاق، لأرسطو طاليس، ترجمة: إسحاق بن حنين، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي: ط١، وكالة المطبوعات، الكويت (١٩٧٩م).
- آراء أهل المدينة الفاضلة، لأبي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ)، تقديم وتعليق: د. ألبير نصري نادر: ط٢، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (٢٠٠٠م).
- آراء أهل المدينة الفاضلة، لأبي نصر الفارابي (ت٣٣٩هـ)، تقديم وتعليق: د. ألبير نصري نادر: ط٢، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت (٢٠٠٠م).
- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، لإمام الحرمين الجويني، لحقيق: زكريا عميرات: ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤١٦هـ = ١٩٩٥م).
- أصول الدين، لأبي اليسر البزدوي: مخطوط بمكتبة أسعد أفندي، تركيا، تحت رقم: ١٢٦٢.
- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦هـ): دار العلم للملايين، بيروت (٢٠٠٢م).
- الآمدي وآراؤه الكلامية، د. حسن الشافعي: ط١، دار السلام، القاهرة (١٤١٨هـ = ١٩٩٨م).
- الآيات البينات، للإمام أحمد بن قاسم العبَّادي الشافعي (ت٩٩٤هـ) على شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (ت٨٨١هـ)، تحقيق: زكريا عميرات: ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٢م).
- بريقة محمودية في شرح طريقة محمدية وشريعة نبوية في سيرة أحمدية، لمحمد بن محمد بن مصطفى بن عثمان أبو سعيد الخادمي الحنفي (ت ١١٥٦هـ): ط١، مطبعة الحلبي (١٣٤٨هـ).
- تاريخ الفلسفة اليونانية، د. يوسف كرم: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة (١٣٥٥هـ = ١٩٣٦م).

- تأسيس القواعد والأصول وتحصيل الفوائد لذوي الوصول في أمور أعمها التصوف وما فيه من وجوه التعرف، للشيخ أحمد زروق الفاسي (ت٨٩٩هـ)، تحقيق: نزار حمادي: المركز العربي للكتاب، الشارقة (بدون تاريخ).
- التفكير الفلسفي في الإسلام، د. عبد الحليم محمود: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة (١٩٦٤م).
- تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، لابن مسكويه (ت٤٢١هـ): مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة (بدون تاريخ).
- ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، لعبد الرحمن بن خلدون (ت٨٠٨هـ)، تحقيق: خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار: ط١، دار الفكر، بيروت (١٤٠١هـ =١٩٨١م).
- الرسالة القشيرية، لعبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (ت ٤٦٥هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف: الناشر: دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ).
- رياضة النفس، لمحمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي (ت ٣٢٠هـ)، تقديم وتعليق: إبراهيم شمس الدين: ط٢، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٢٦هـ).
- سلم الوصول إلى طبقات الفحول، لمصطفى بن عبد الله القسطنطيني العثماني المعروف بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمود عبد القادر الأرناؤوط: مكتبة إرسيكا، إسطنبول (٢٠١٠ م).
- شرح الأخلاق العضدية، لأحمد بن لطف الله السلانيكي، الرومي، المولوي، الصديقي، الشهير بمنجم باشا (ت١١١٣هـ)، تحقيق: عصماء آيهان: رسالة دكتوراه بجامعة مرمرة، معهد العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، إسطنبول (٢٠١٣م).
- شرح الأخلاق العضدية، لإسماعيل مفيد بن علي الإسطنبولي (ت ١٢١٧هـ): تحقيق: د. أشرف ألطاش شركة كاريست لحلول الطباعة المحدودة، إسطنبول (٢٠١٤م).
- شرح الأخلاق العضدية، لشمس الدين الكرماني (ت٧٨٦هـ): رسالة ماجستير للباحث: دريا توبالجيك، بمعهد العلوم الاجتماعية، جامعة صقاريا، تركيا (٢٠٠٧م).
- شرح الأخلاق العضدية، لطاش كبرى زاده عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل (ت ٩٦٨هـ): ط١، شركة كاريست لحلول الطباعة المحدودة، تركيا (٢٠١٤م).
- شرح الأخلاق العضدية، لعلاء الدين محمد بن محمد بن خضر العمري الكازروني، ترجمة: محمد دمير: ط١، شركة كاريست لحلول الطباعة المحدودة، تركيا (٢٠١٤م).

- شرح الأصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، تحقيق: د. عبد الكريم عثمان: ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة (١٤١٦هـ = ١٩٩٦م).
- شرح المقاصد، لسعد الدين التفتازاني، تحقيق: إبراهيم شمس الدين: ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١١م).
- شرح المواقف للقاضي عضد الدين الإيجي، تأليف السيد الشريف علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)، تحقيق: محمود عمر الدمياطي: دار الكتب العلمية، بيروت (٢٠١٢م).
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار: ط٤، دار العلم للملايين – بيروت (١٤٠٧هـ = ١٩٨٧م).
- طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي (ت ٧٧١هـ)، تحقيق: د. محمود محمد الطناحي، د. عبد الفتاح محمد الحلو: ط٢، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، السعودية (١٤١٣هـ).
- طبقات المفسرين، لمحمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (ت ٩٤٥هـ): دار الكتب العلمية – بيروت (بدون تاريخ).
- الطريقة المحمدية والسيرة الأحمدية، للإمام البركوي محمد بن بير علي (ت٩٨١هـ)، تحقيق: محمد رحمة الله حافظ محمد ناظم الندوي: ط١، دار القلم، دمشق (١٤٣٢هـ = ٢٠١١م).
- عوارف المعارف، لشهاب الدين أبي حفص عُمر السُهروردي (ت٦٣٢هـ)، تحقيق: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف: دار المعارف، القاهرة (بدون تاريخ).
- عيون الحكمة، لابن سينا، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي: منشورات المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة (١٩٥٤م).
- غاية المرام في علم الكلام، لسيف الدين الآمدي (ت٦٣١هـ)، تحقيق: د. حسن الشافعي: ط٢، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة (١٤٣٣هـ = ٢٠١٢م).
- الفوائد السنية في شرح الألفية، لشمس الدين محمد بن عبد الدائم (ت٨٣١ هـ)، تحقيق: عبد الله رمضان موسى: ط١، مكتبة دار النصيحة، السعودية (١٤٣٦هـ = ٢٠١٥م).
- في الفلسفة والأخلاق، د. محمد كمال إبراهيم جعفر: ط١، دار الكتب الجامعية، (١٩٦٨م).
- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م).

- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي (ت ٣٨٦ هـ)، تحقيق: د. عاصم إبراهيم الكيالي: ط٢، دار الكتب العلمية – بيروت (١٤٢٦هـ = ٢٠٠٥م)،
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله، الشهير بحاجي خليفة (ت١٠٦٧هـ)، تحقيق: محمد شرف الدين يالتقايا: ط١، وكالة المعارف، إسطنبول (١٣٦٢ هـ = ١٩٤٣م).
- لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت٧١١هـ): ط٢، دار صادر، بيروت (١٤١٤هـ).
- المختصر في علم الأخلاق، لعضد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي(ت٧٥٦هـ)، تحقيق: نزار حمادي: دار الإمام ابن عرفة، تونس (بدون تاريخ).
- المسالك في الخلافيات بين المتكلمين والحكماء، لعبد الله بن موسى بن عثمان أفندي المعروف بمستجي زاده (ت١١٥٠هـ)، تحقيق: د. سيد باغجوان: ط١، دار صادر، بيروت (١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م).
- المعارف في شرح الصحائف، لشمس الدين السمرقندي، تحقيق: د. نظير محمد محمد النظير عياد، د. عبد الله محمد عبد الله إسماعيل: ط١، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة (١٤٣٧هـ = ٢٠١٥م).
- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة: الناشر: مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ).
- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون: دار الفكر، دمشق (١٣٩٩هـ = ١٩٧٩م).
- مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم، لطاش كبرى زاده (ت٩٦٨هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت (١٤٠٥هـ= ١٩٨٥م).
- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي: ط١، دار القلم، بيروت (١٤١٢هـ).
- ميزان العمل، لأبي حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: د. سليمان دنيا: ط١، دار المعارف، القاهرة (١٩٦٤م).
- نظم الفرائد وجمع الفوائد في بيان المسائل التي وقع فيها الاختلاف بين الماتريدية والأشعرية في علم العقائد، لعبد الرحيم بن علي الشهير بشيخ زاده (ت٩٤٤هـ): ط١، المطبعة الأدبية، القاهرة (١٣١٧هـ).
- نظم تهذيب الأخلاق، لقوام الدين محمد بن محمد مهدي حسيني سيفي قزويني (ت١١٤٠هـ)، تحقيق: أمير باقر بيرتياك: بحث منشور بمجلة ميراث شهاب، العدد: ٢٧، مؤسسة آية الله العظمى، إيران ٢٠٢٠م).
- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل باشا بن محمد أمين بن مير سليم البغدادي (ت ١٣٣٩هـ): وكالة المعارف إسطنبول ١٩٥١م).
- الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: المكتبة العصرية - لبنان (بدون تاريخ).

فهرس المحتويات

ملخص البحث: ٥٥١
مقدمة ٥٥٣
أهمية الموضوع: ٥٥٤
أسباب اختيار الموضوع: ٥٥٥
إشكالية البحث. ٥٥٥
منهج البحث: ٥٥٦
تقسيمات البحث: ٥٥٧
التمهيد: التعريف بالإيجي والشراح وبيان منهجهم في دراسة الأخلاق.. ٥٥٨
أولاً: التعريف بالإيجي والشراح: ٥٥٩
التعريف بشراح المختصر: ٥٦٠
ثانيًا: المنهج الذي سلكه الإيجي والشراح في دراسة الأخلاق. ٥٦٦
ثالثًا: مكانة الأخلاق والقيمة العلمية لمختصر الإيجي ٥٦٨
المبحث الأول: الجانب النظري للأخلاق عند الإيجي وشراح المختصر. ٥٧٢
أولاً: تعريف الخلق لغة واصطلاحًا: ٥٧٢
ثانيًا: بعض الأحكام المتعلقة بالخُلق. ٥٧٧
المبحث الثاني: الجانب العملي في تهذيب الأخلاق عند الإيجي والشراح.
..... ٦٠٣
أولاً: طرق حفظ الفضائل واكتسابها. ٦٠٤
ثانيًا: طرق اجتناب الرذائل وإزالتها. ٦٠٩
المبحث الثالث: الرؤية الأخلاقية للإيجي والشراح لتدبير المنزل وسياسة المدن. ٦٢٣
الخاتمة ٦٤١
فهرس المصادر والمراجع: ٦٤٥
فهرس المحتويات ٦٤٩